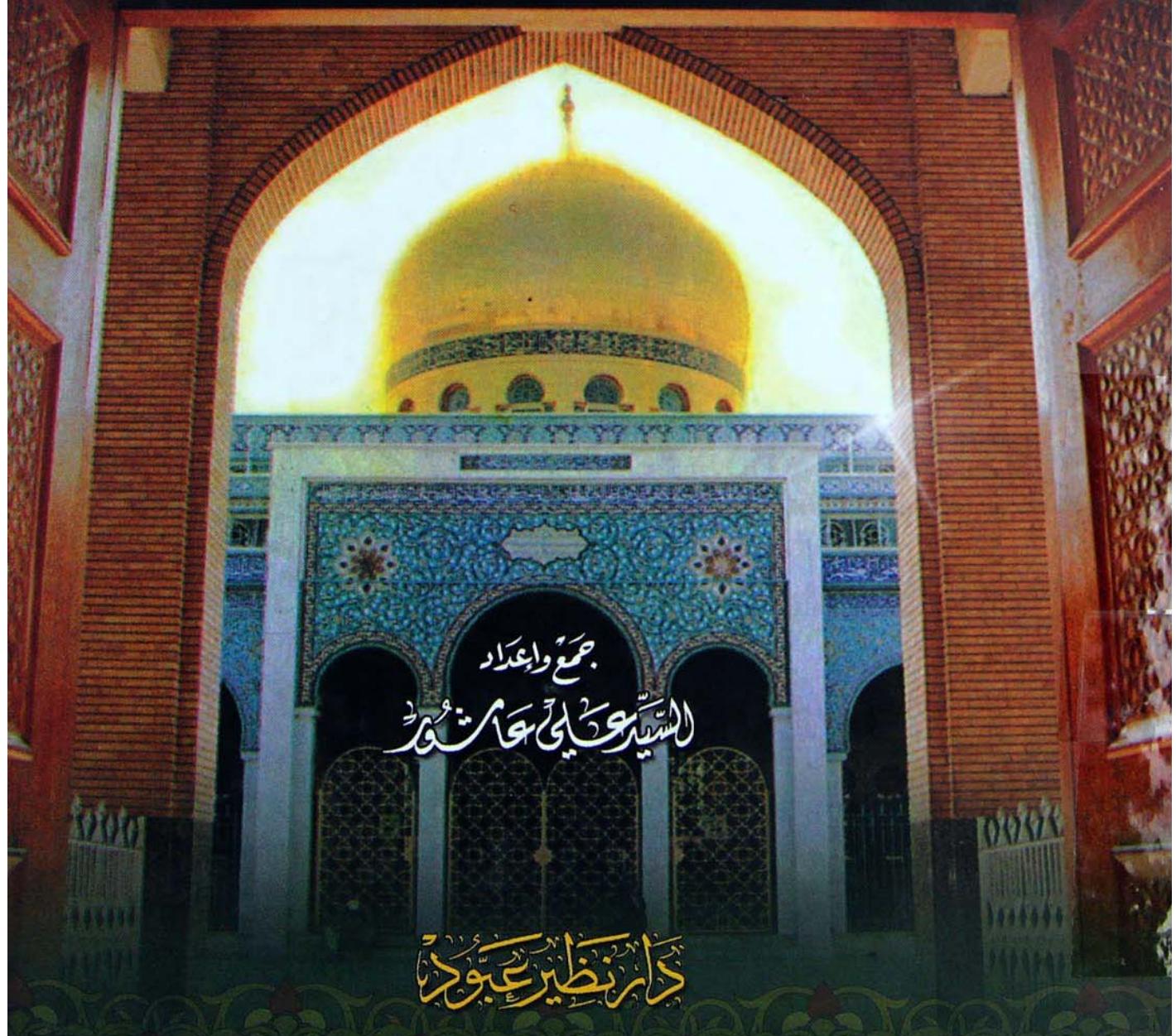


مَوْسُوِّفَةٌ
بِرْبِيْبَه لِكَبِيْرَه

بِخَذْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ





www.haydarya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ الْكَوْكَبِيْنَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُ أَنَّكَ طَالِبٌ بِعِلْمِ الْإِسْلَامِ
(٧)

مَوْسُوْدَةِ زَيْنَبَ
بُشْرَى بْنَ الْكَبِيرِ
وَ عَلِيِّ السَّلَامِ

بِحَذْنَتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَوَاقِفٌ وَمَحَطَّاتٌ فِي حَيَاةِ زَيْنَبِ

جَمْعٌ وَأَعْدَادٌ
السَّيْرُ عَلَيْهِ عَسْوَرٌ

الْجَزِيْرَةِ السَّابِعُ



بِكَارِ نَظِيرِ عَبْدِ زَيْنَبِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال
مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة
سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل
أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابةً ومقدماً.

كتاب نظرية عبودية

هاتف : ٠٣/٧٨٠٠٧ - ٠٩/٩٣٦٧٧٢ - بيروت لبنان

زینب عند وفاة أبيها أمير المؤمنین ﷺ

قال مخنف بن حنيف : إني والله ليلة تسع عشرة في الجامع في رجال نصلي قريباً من السدة التي يدخل منها أمير المؤمنین ﷺ فبيانا نحن نصلي إذ دخل أمير المؤمنین ﷺ من السدة وهو ينادي : الصلاة ، ثم صعد المئذنة فأذن ، ثم نزل فعبر على قوم نیام في المسجد فناداهم : الصلاة ، ثم قصد المحراب ، فما أدرى دخل في الصلاة أم لا إذ سمعت قائلا يقول : الحكم لله لا لك يا علي .

قال : فسمعت عند ذلك أمير المؤمنین ﷺ يقول : لا يفوتكم الرجل ، قال : فشد الناس عليه وأنا معهم ، وإذا هو وردان بن مجالد ، وأما ابن ملجم لعنه الله فإنه هرب من ساعته ودخل الكوفة ورأينا أمير المؤمنین ﷺ مجروها في رأسه .

قال محمد بن الحنفية : ثم إن أبي ﷺ قال : احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي ، قال : فحملناه إليه وهو مدنس والناس حوله ، وهم في أمر عظيم باكين محزونين ، قد أشرفوا على ال�لاك من شدة البكاء والتحنّب ، ثم التفت إليه الحسين ﷺ وهو يبكي .

فقال له : يا أباها من لنا بعده؟ لا كيومك إلا يوم رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلك تعلمت البكاء ، يعز والله علي أن أراك هكذا ، فناداه ﷺ فقال : يا حسين يا أبا عبد الله ادن مني ، فلدى منه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء ، فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبه وقال له : يابني ربط الله قلبك بالصبر ، وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر ، فسكن روحك واهدا من بكائك ، فإن الله قد آجرك على عظيم مصابك ، ثم ادخل ﷺ إلى حجرته وجلس في محرابه .

قال الراوي : وأقبلت زینب ﷺ وأم كلثوم حتى جلستا معه على فراشه ، وأقبلتا

تند بأنه وتقولان: يا أبناه من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملا؟ يا أبناه حزتنا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقا^(١).

قال: فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والتحبيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك، وجعل يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثم دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضنهما ويقبلهما، ثم أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى، لأنه صلى الله عليه وآله كان مسموماً، فلما أفاق ناوله الحسن عليه السلام قوباً من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه وقال: احملوه إلى أسيركم.

ثم قال للحسن عليه السلام: بحقي عليك يابني إلا ما طيitem مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه، فعند ذلك حملوا إليه اللبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقه، فأخذ اللعين وشربه.

قال: ولما حمل أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله جاؤوا باللعين مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه، فقالت له أم كلثوم وهي تبكي: يا وليك أما أبي فإنه لا بأس عليه، وإن الله مخزيك في الدنيا والآخرة، وإن مصيرك إلى النار خالداً فيها، فقال لها ابن ملجم لعنه الله: أبكي إن كنت باكية فوالله لقد اشتريت سيفي هذا بألف وسمنته بألف، ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد.

وفي ذلك يقول الفرزدق: «شعر»:

ذتاب الأعادي من فصيح وأعجمي	فلا غرو للاشراف إن ظفرت بها ^(٢)
فرحية وحشى سقت حمزة الردى	وحتف على من حسام ابن ملجم
قال محمد بن الحنفية <small>عليه السلام</small> :	وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل
السم إلى قدميه، وكان يصلبي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصاياته ويعزينا	

(١) رقا الدموع: جف وانقطع.

(٢) كذا في النسخ، والظاهر: فلا عز للاشراف.

عن نفسه ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه، وهو يرد عليه السلام.

ثم قال: أيها الناس أسألوني قبل أن تفقدوني وخفقوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، قال فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيقاً عنه، فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال:

أبو الأطهار حميدة الرزكي
لعين فاسق نغل شقي^(١)
ويبرء منكم لعنا وبي
 وأنتم عترة الهادي النبى
فلمما بصر به وسمع شعره قال له: كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة مني، فما
عساك أن تقول؟

فيما أسفى على المولى التقى
قتله كافر حنث زنيم
فيلعن ربنا من حاد عنكم
لأنكم بيوم الحشر ذخري

قال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأضرم لي النار وألقيت فيها آثرت ذلك على البراءة منك، فقال: وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيتك.

ثم قال: هل من شربة من لبن؟ فأتوه بلبن في قعب، فأخذه وشربه كله، فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يخلف له شيئاً، فقال عليه السلام: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا» اعلموا أنني شربت الجميع ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا، ألا وإنه آخر رزقي من الدنيا، فبالت الله عليك يابني إلا ما أستقيه مثل ما شربت، فحمل إليه ذلك فشربه.

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: لما كانت ليلة إحدى وعشرين وأظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم.

ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصاهم الجميع منهم بلزم الایمان والأديان والاحكام التي أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) النغل: المفسد في الأرض

فمن ذلك ما نقل عنه عليه السلام أنه أوصى به الحسن والحسين عليهم السلام لما ضربه الملعون ابن ملجم وهي هذه «أوصيكم بتقوى الله» وساقها إلى آخر ما مر برواية السيد الرضي.

قال: ثم تزايـد ولوج السـم في جـسـده الشـرـيف، حتى نـظـرـنا إـلـى قـدـمـيه وـقـدـ اـحـمـرـتـا جـمـيـعـاً، فـكـبـرـ ذـلـكـ عـلـيـنـا وـأـيـسـنـا مـنـهـ، ثـمـ أـصـبـحـ ثـقـيلاً، فـدـخـلـ النـاسـ عـلـيـهـ، فـأـمـرـهـمـ وـنـهـاـهـمـ وـأـوـصـاـهـمـ، ثـمـ عـرـضـنـا عـلـيـهـ الـمـأـكـولـ وـالـمـشـرـوبـ فـأـبـىـ أنـ يـشـرـبـ فـنـظـرـنـا إـلـى شـفـتـيـهـ وـهـمـا يـخـتـلـجـانـ بـذـكـرـ اللهـ تـعـالـىـ، وـجـعـلـ جـبـيـنـهـ يـرـشـحـ عـرـقاًـ وـهـوـ يـمـسـحـهـ بـيـدـهـ قـلـتـ: يـا أـبـتـ أـرـاكـ تـمـسـحـ جـبـيـنـكـ.

فقال: يا بني إني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنبنه، ثم قال: يا أبا عبد الله ويا عون، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد، وجعل يودعهم ويقول: الله خليفي عليكم أستودعكم الله وهم ي يكون، فقال له الحسن عليه السلام يا أبا ما دعاك إلى هذا؟

قال له : يا بني إني رأيت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة ، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة ، فقال لي : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلهم بي شرًا مني وأبدلني بهم خيراً منهم ، فقال لي : قد استجاب الله دعاك ، سينقلك إلينا بعد ثلات ، وقد مضت الثلاث ، يا أبا محمد أوصيك - ويا أبا عبد الله - خيراً ، فأنتما مني وأنا منكم ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة عليها السلام وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين عليهما السلام

ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآلله كما وعدني، فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحنطني بقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآلله فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل عليه السلام إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه، فأي موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم يا أبا محمد وصل على يابني يا حسن

وكبر علي سبعاً، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدى، من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت على يا حسن فتح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني، وإنني لاحق بجذك رسول الله صلى الله عليه وآله واعلم يابني ما مننبي يموت وإن كان مدفوناً بالشرق ويموت وصيه بالغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منها إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه، ثم أشرج^(١) اللحد باللبن وأهل التراب على ثم غيب قبري، وكان غرضه للنبي بذلك لثلا يعلم بموضع قبره أحد منبني أمية، فإنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا بزيد بن علي بن الحسين للنبي ثم يابني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتنا إلى ظهر الكوفة على ناقة، وأمر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعن فيه، وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتنة من هننا وهننا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة.

ثم قال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكم وقد خرجت عليكم من بعدي الفتنة من هننا، فاصيرا حتى يحكم الله وهو خير الحكمين.

ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أغمي عليه ساعة، وأفاق وقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم يقولون: عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: أستودعكم الله جميعاً سددكم الله جميعاً حفظكم الله جميعاً، خليفتني عليكم الله وكفى بالله خليفة.

ثم قال: وعليكم السلام يا رسول ربى.

ثم قال: «المثل هذا فليعمل العاملون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم

(١) شرج الحجارة: نضدتها وضم بعضها إلى بعض.

محسنون» وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين، ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومد رجليه ويديه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، ثم قضى نحبه عليه السلام.^(١)

وقال: فعند ذلك صرخت زينب بنت علي عليه السلام وأم كلثوم وجميع نسائه، وقد شقوا الجيوب ولطموا الخلود، وارتقت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجمت الكوفة بأهلها وكثير البكاء والنحيب، وكثير الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أظلم الليل تغير أفق السماء وارتجمت الأرض وجميع من عليها بكوه وكنا نسمع جلةً وتسبحاً في الهواء، فعلمنا أنها من أصوات الملائكة، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر، ثم ارتفعت الأصوات وسمعنا هاتفاً بصوت يسمعه الحاضرون لا يرون شخصه يقول:

فداء لمن أضحي قتيل ابن ملجم
فهدت به أركان بيت المحرم
لمقتله البطحا وأكتاف زمز
يهدا وبان النقص في ماء زمز
(٢) لقتل علي لونها لون دلهم
كشقة ثوب لونها لون عندم^(٣)
حنينا كشكلى نوحها بتزرم وأضحي
وكان التقى في قبره المتهدم

بنفسي ومالى ثم أهلي وأسرتي
علي رقى فوق الخلائق في الوغى
علي أمير المؤمنين ومن بكت
يكاد الصفا والمشعران كلاهما
وأصبحت الشمس المنير ضياؤها
وصل له أفق السماء كابة
وناحت عليه الجن إذ فجعت به
إليها الجود والنبل مقتما^(٤)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٢/٢٨٨ - ٢٩٣.

(٢) الدلهم: المظلوم.

(٣) العندم: خشب نبات يصبغ به.

(٤) قرم وجهه: تغير واسود.

وبات العلی فی قبره المتهم
یهذا ویان النقص فی ماء زمزم
أخا العالم الہادی النبی المعظم
فالمعنى عند ذلك أن السماوات والأرض والملائكة والجن والانس قد بكت
ورثه في تلك الليلة، وسمعنا في الهواء جلة عظيمة وتسبيحا وتقديسا، فعلمنا أنها
أصوات الملائكة، فلم تزل كذلك حتى بدا الصباح، فارتقت الأصوات فخرجنا وإذا
بصائح في الهواء وهو يقول:

يا للرجال لعظم هول مصيبة
والشمس کاسفة لفقد إمامنا
يا خیر من ركب المطي ومن مشى
يا سیدي ولقد هددت قوائنا
قدحت فليس مصابها بالهazel
خیر الخلاق و والإمام العادل
فوق الشرى من حافي أو ناعل
والحق أصبح خاضعا للباطل

قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا في جهازه ليلاً وكان الحسن عليه السلام يغسله
والحسين عليه السلام يصب الماء عليه، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلبه، بل كان يتقلب
كم يريده الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم
نادى الحسن عليه السلام بأخته زینب وأم كلثوم وقال: يا أختاه هلمي بحنوط جدي رسول
الله صلى الله عليه وآله، فبادرت زینب مسرعة حتى أتته به، قال الراوي: فلما فتحته
فاحت الدار وجمیع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطیب، ثم لفوه بخمسة
أثواب كما أمر عليه السلام ثم وضعوه على السریر، وتقدم الحسن والحسین عليه السلام إلى
السریر من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حاملاً من مقدمه
جبرئيل ومیکائيل، فما مر بشی على وجه الأرض إلا انحنی له ساجداً وخرج السریر
من مایل بباب کندة، فحملها مؤخره وساراً يتبعان مقدمه.

قال ابن الحنفية رحمه الله: والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمر بالحيطان والنخل
فتنهني له خشوعاً، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن، قال: وضجت
الکوفة بالبكاء والنحیب، وخرجن النساء يتبعن لاطمات حاسرات، فمنعهم

الحسن عليه السلام ونهاهم عن البكاء والعويل، وردهن إلى أماكنهن والحسين عليه السلام يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون يا أباه وانقطاع ظهراء، من أجلك تعلمت البكاء، إلى الله المستكفي.

فلما انتهيا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وضع، فوضع الحسن عليه السلام مؤخره ثم قام الحسن عليه السلام وصلى عليه والجماعة خلفه، فكبر سبعا كما أمره به أبوه عليه السلام ثم زحزحنا سريره وكشفنا التراب فإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها: «هذا ما ادخره له جده نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهر» فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول: أنزلوه إلى التربية الطاهرة، فقد اشتق الحبيب إلى الحبيب، فدهش الناس عند ذلك وتحيروا، والحد أمير المؤمنين عليه السلام قبل طلوع الفجر.

قال الراوي: لما الحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبد رضي الله عنه على القبر، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين.

ثم قال: هنيئا لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوى صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتكم، وقدمت على خالقك، فتلقاك الله ببشارته، وحفتكم ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحضرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربكم بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن، وأبررت الفتن^(١) واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام، بك اشتد ظهر المؤمنين، واتضحت أعلام

(١) أبره: أصلحه.

السبيل، وأقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النبي صلوات الله عليه وسلم مقدماً مؤثراً، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحدر، قضم الله بك كل جبار عنيد، ودل بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصن أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئا لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله قربا وأولهم سلما، وأكثرهم علما وفهم، فهنيئا لك يا أبا الحسن، لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسبا، وأولهم إسلاما، وأوفاهم يقينا، وأشدتهم قلبا، وأبذلهم لنفسه مجاهدا، وأعظمهم في الخير نصيبا، فلا حرمنا الله أجرك ولا أذلنا بعدهك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير وغالق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة. ثم بكى بكاء شديدا وأبكى كل من كان معه، وعدلو إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله رضي الله عنه فعزوه في أبيهم صلوات الله عليه، وانصرف الناس، ورجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وشيعتهم إلى الكوفة، ولم يشعر بهم أحد من الناس، فلما طلع الصباح وبزغت الشمس أخرجوا تابوتا من دار أمير المؤمنين عليه السلام وأتوا به إلى المصلى بظاهر الكوفة، ثم تقدم الحسن عليه السلام وصلى عليه، ورفعه على نافة وسيرها مع بعض العبيد.

قال الراوي: فلما كان الغداة اجتمعوا لأجل قتل الملعون، قال أبو مخنف: فلما رجع الحسن عليه السلام دخلت عليه أم كلثوم وأقسمت عليه أن لا يترك الملعون في الحياة ساعة واحدة، وكان قد عزم على تأخيره ثلاثة أيام، فأجابها إلى ذلك، وخرج لوقته و ساعته، وجمع أهل بيته وأهل البصائر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كصعصعة والأحنف وما أشبههما رضي الله عنه وتشاوروا في قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى، فكل أشار بقتله في ذلك اليوم، واجتمع رأيهما على قتله في المكان الذي ضرب فيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الراوي: ثم إنه لما رجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه إلى الكوفة واجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم فقال عبد الله بن جعفر: اقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك.

وقال ابن الحنفية رضي الله عنه: أجعلوه غرضا للنشاب وأحرقوه بالنار، وقال آخر: أصلبوه حيا حتى يموت.

فقال الحسن عليه السلام: أنا ممثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السلام أضربيه ضربة بالسيف حتى يموت فيها، وأحرقه بالنار بعد ذلك.

قال: فأمر الحسن عليه السلام أن يأتيه به، فجاؤوا به مكتوفا حتى أدخلوه إلى الموضع الذي ضرب فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والناس يلعنونه ويوبخونه، وهو ساكت لا يتكلم.

فقال الحسن عليه السلام: يا عدو - الله قتلت أمير المؤمنين عليه السلام وإمام المسلمين، وأعظمت الفساد في الدين، فقال لهما: يا حسن ويا حسين عليكم السلام ما تريدان تصنعان بي؟

قالا له: نريد قتلك كما قتلت سيدنا ومولانا.

فقال لهم: أصنع ما شئتما أن تصنعوا، ولا تعنفا من استزله الشيطان فصده عن السبيل، ولقد زجرت نفسى فلم تنجز! ونهيتها فلم تنته! فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد، ثم بكى، فقال له: يا ويلك ما هذه الرقة؟ أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيبتك؟

فقال ابن ملجم لعنه الله: «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» ولقد انقضى التوبيخ والمعايرة، وإنما قتلت أباك وحصلت بين يديك، فاصنع ما شئت وخذ بحقك مني كيف شئت، ثم برک على ركبتيه وقال: يا ابن رسول الله الحمد لله الذي أجرى قتلي على يديك،

فرق له الحسن عليه السلام لأن قلبه كان رحيمًا - صلى الله عليه - فقام الحسن عليه السلام وأخذ السيف بيده وجرده من غمده فهز به^(١) حتى لاح الموت في حده ثم ضربه ضربة أدار بها عنقه فاشتد زحام الناس عليه، وعلت أصواتهم، فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبرأه فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه، فقام الحسين عليه السلام إلى أخيه وقال: يا أخي أليس الأب واحدا والأم واحدة ولن نصيب في هذه الضربة ولن في قتلها حق؟ فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما أجده، فناوله الحسن عليه السلام السيف فأخذته وهزه وضربه على الضربة التي ضربه الحسن عليه السلام فبلغ إلى طرف أنفه، وقطع جانبه الآخر، وابتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم، فقطعواه إرباً إرباً، وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار، ثم جمعوا جثته وأخرجوه من المسجد، وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار، وقيل: طرحوه في حفرة وطموه بالتراب، وهو يعودي كعوي الكلاب في حفرته إلى يوم القيمة، وأقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعواها بالسيف إرباً إرباً، ونهبوا دارها، ثم أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنار، وعجل الله بروحها إلى النار وغضب الجبار، وأما الرجال اللذان تحالفوا معه فأحدهما قتل معاوية بن أبي سفيان بالشام والآخر قتل عمرو بن العاص بمصر لا عليه السلام، وأما الرجال اللذان كانوا مع ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل علي عليه السلام فقتلوا من ليتهمما، لعنهم الله وحشر هما محشر المنافقين الظالمين في جهنم خالدين مع السالفين.

قال أبو مخنف: فلما فرغوا من إهلاكهم وقتلهم أقبل الحسن والحسين عليهما السلام إلى المنزل، فالتفت بهم أم كلثوم وأنشدت تقول هذه الأبيات لما سمعت بقتله.
وأيضاً قال: إنها لأم الهيثم بنت العريان الخثعمية، وقيل: للأسود الدولي شعرًا يقول:

ألا يا عين جودي واسعدينا
وتبكى أم كلثوم عليه
بعبرتها وقد رأت اليقينا

(١) أي حرمه.

فلا قررت عيون الحاسدين
وحت بها وأقرى الظاعنين
وفارسها ومن ركب السفين
ومن قرأ المثاني والمئين
وناجى الله خير الخالقين
فقيه قد حوى علما ودينا
ومقدام الأسود في العرينا^(١)
حمي أروع ليث بطيينا
طغا وسقى ابن ود منه حينا
وعفر ذا الخمار على الجبينا
ولم يعبأ بكيد الكافرين
ويقضى بالفرائض مستعينا
وحب رسول رب العالمين
أبو حسن وخير الصالحين
رأيت البدر فاق الناظرين
نرى مولى رسول الله فينا
وينهك قطع أيدي السارقين^(٣)

ألا قل للخوارج حيث كانوا
وابكي خير من ركب المطاي
وابكي خير من ركب المطاي
ومن لبس النعال ومن حفاما
ومن صام الهجير وقام ليلا
إمام صادق بررتقي
شجاع أشوس بطل همام
كمي باسل قرم هزير
فعمر وقاده في الأسر لما
ومرحب قده بالسيف قدا
ويات على الفراش بقى أخيه
ويدعوا للجماعة من عصاه
 وكل مناقب الخيرات فيه
مضى بعد النبي فدته نفسي
إذا استقبلت وجه أبي حسين
وكنا قبل مقتله بخير
يقيم الحق لا يرتاب فيه

(١) العرينة: مأوى الأسد.

(٢) الكمي والباسل: الشجاع. القرم - بالفتح - : السيد العظيم. الهزير: الأسد. الحمى من لا يتحمل الضيم. الأروع: من يعجبك بحسنه أو شجاعته. قوله «فعمر وقاده في الأسر» إشارة إلى ما جرى بينه وبين عمرو بن معدى كرب وقوله «وسقى ابن ود» إشارة إلى قتل عمرو بن عبد ود بيده.

(٣) نهكه: بالغ في عقوبته.

ولم يخلق من المتجرينا
بخير الخلق طراً أجمعينا
أبو حسن وخير الصالحين
بذلنا المال فيه والبنينا
نعم جال في بلد سنينا
وحسن صلاته في الراكيينا
بأنك خيرها حسباً ودينا
فلا قرت عيون الشامتينا
سيلقي الشامتون كما لقينا
وذلكها ومن ركب السفيننا
بأن بقية الخلفاء فينا
قال: فلم يبق أحد في المسجد إلا انتصب وبكي لبكائهما، وكل من كان حاضراً
من عدو وصديق، ولم أر باكية ولا باكيا أكثر من ذلك اليوم.

أقول: روى البرسي في مشارق الأنوار عن محدثي أهل الكوفة أن أمير المؤمنين ﷺ لما حمله الحسن والحسين ﷺ على سريره إلى مكان البئر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارساً يتضوع منه رائحة المسك، فسلم عليهما ثم قال للحسن ﷺ: أنت الحسن بن علي رضيع الوحي والتنزيل وقطيم العلم والشرف الجليل خليفة أمير المؤمنين وسيد الوصيين؟

قال: نعم، قال: وهذا الحسين بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين سبط الرحمة ورضيع العصمة ورب الحكمة ووالد الأئمة؟
قال: نعم.

قال: سلماء إلى وأمضيا في دعوة الله، فقال له الحسن ﷺ: إنه أوصى إلينا أن لا نسلم إلا إلى أحد رجلين: جبرائيل أو الخضر فمن أنت منهم؟

وليس بكاتم علمالديه
أفي الشهر الحرام فجعتمونا
ومن بعد النبی فخیر نفس
فلو أنا سئلنا المال فيه
کأن الناس إذ فقدوا عليا
فلا والله لا أنسى عليا
لقد علمت قريش حيث كانت
ألا فابلغ معاویة بن حرب
وقل للشامتين بنا رويدا
قتلتم خیر من ركب المطایا
ألا فابلغ معاویة بن حرب

فكشف النقاب فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال للحسن عليه السلام: يا أبا محمد إنه لا تموت نفس إلا ويشهدها أفما يشهد جسده؟.

قال: وروي عن الحسن بن علي عليه السلام أن أمير المؤمنين قال للحسن والحسين عليهم السلام: إذا وضعتماني في الضريح فصليا ركعتين قبل أن تهلا على التراب، وانظرا ما يكون، فلما وضعاه في الضريح المقدس فعلما أمرا به، ونظرا وإذا الضريح مغطى بثوب من سندس، فكشف الحسن عليه السلام مما يلي وجه أمير المؤمنين، فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وآدم وإبراهيم يتحدثون مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكشف الحسين مما يلي رجليه فوجد الزهراء وحواء ومريم وأسمية عليهم السلام ينحرن على أمير المؤمنين عليه السلام ويندبنه.

بيان: لم أر هذين الخبرين إلا من طريق البرسي، ولا أعتمد على ما يتفرد بنقله، ولا أردهما، لورود الأخبار الكثيرة الدالة على ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثالية، وقد مرت في كتاب المعاد وكتاب الإمامة^(١).



(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٢ / ٢٩٣ - ٢٠١.

زینب عند وفاة أمها فاطمة الزهراء

قال المجلسي : وجدت في بعض الكتب خبراً في وفاتها عليها السلام فأحببت إيراده وإن لم آخذه من أصل يعول عليه.

روى ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام راجياً لثواب الله رب العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجارية سمراء، ومليلة الوجه عنده الكلام، وهي تنادي بفصاحة منطقها، وهي تقول: اللهم رب الكعبة الحرام، والحفظة الكرام، وزمزم والمقام، والمشاعر العظام ورب محمد خير الأنام، البررة الكرام أسألك أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين، وأبنائهم الغر المحجلين الميمانيين. ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين أن موالي خيرة الأخيار، وصفوة الأبرار، والذين علا قدرهم على الاقتدار، وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار المرتدين بالفحخار.

قال ورقة بن عبد الله: قلت: يا جارية إني لأظنك من موالي أهل البيت عليها السلام
قالت: أجل.

قلت لها: ومن أنت من مواليهم؟

قالت: أنا فضة أمة فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى (صلى الله عليها وعلى أبيها ويعلها وينيها).

فقلت لها: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، فلقد كنت مشتاقاً إلى كلامك ومنطقك فأريد منك الساعة أن تجيبني من مسألة أسألك، فإذا أنت فرغت من الطواف قفي لي عند سوق الطعام حتى آتيك وأنت مثابة ماجورة، فافتقرنا. فلما فرغت من الطواف وأردت الرجوع إلى منزلي جعلت طريقي على سوق الطعام وإذا أنا بها جالسة في

معزل عن الناس، فأقبلت عليها واعتزلت بها وأهديت إليها هدية ولم أعتقد أنها صدقة، ثم قلت لها : يا فضة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء عليها السلام وما الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

قال ورقة : فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناهما بالدموع ثم انت Hibحت نادبة وقالت : يا ورقة بن عبد الله هيجهت علي حزنا ساكنا ، وأشجانا في فؤادي كانت كامنة ، فاسمع الآن ما شاهدت منها عليها السلام.

اعلم أنه لما قبض رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه افتحع له الصغير والكبير، وكثير عليه البكاء، وقل العزاء، وعظم رزوه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، ولم تلق إلا كل باك وباكية، ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب، والأقرباء والأحباب، أشد حزنا وأعظم بكاء وانتهابا من مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان حزنها يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتد. فجلست سبعة أيام لا يهدأ لها أنين، ولا يسكن منها الحنين، كل يوم جاء كان بكاؤها أكثر من اليوم الأول، فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبرا إذ خرجت وصرخت، فكأنها من فم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه تنطق، فتبادرت النسوان، وخرجت الولائد والولدان، وضج الناس بالبكاء والنحيب وجاء الناس من كل مكان، وأطفئت المصايب لكيلا تتبيّن صفحات النساء وخيل إلى النسوان أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قد قام من قبره، وصارت الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم، وهي عليها السلام تنادي وتندب أباها : وأباها، واصفياه، وامحمداء! وأبا القاسماء، واربيع الأرامل واليتامى، من للقبة والمصلى، ومن لا بنتك الوالهة الثكلى.

ثم أقبلت تعثر في أذيالها، وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها، ومن تواتر دمعتها حتى دنت من قبر أبيها محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على الماذنة فقصرت خطها، ودام نحيبها وبكائها، إلى أن أغمي عليها، فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفاقت، فلما أفاقت من غشيتها قامت

وهي تقول. رفعت قوتي، وخانني جلدي، وشمت بي عدوبي، والكمد قاتلي، يا أبتابه بقيت والهة وحيدة، وحيرانة فريدة، فقد انخدم صوتي، وانقطع ظهري، وتنغص عيشي، وتکدر دهري، فما أجد يا أبتابه بعدك أنيسا لوحشتني، ولا رادا لدمعتي ولا معينا لضعفي، فقد فني بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحل ميكائيل انقلبت بعدك يا أبتابه الأسباب، وتغلقت دوني الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالبة وعليك ما ترددت أنفاسي باكية، لا ينفد شوقي إليك، ولا حزني عليك. ثم نادت ﷺ: يا أبتابه والباء، ثم قالت:

إن حزني عليك حزن جديد	وفؤادي والله صب عنيد
كل يوم يزيد فيه شجوني	واكتيابي عليك ليس يبيد
جل خطبي فبان عني عزائي	فبكائي كل وقت جديد
إن قلبا عليك يألف صبرا	أو عزاء فإنه لجليد

ثم نادت ﷺ: يا أبتابه انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وزوت زهرتها وكانت بيهجتك زاهرة، فقد أسود نهارها، فصار يحكى حنادسها رطبهها وياباسها، يا أبتابه لزلت آسفة عليك إلى التلاق، يا أبتابه زال غمسي منذ حق الفراق، يا أبتابه من للأرامل والمساكين، ومن للأمة إلى يوم الدين، يا أبتابه أمسينا بعدك من المستضعفين يا أبتابه أصبحت الناس عنا معرضين، ولقد كنا بك معظمين في الناس غير مستضعفين فأي دمعة لفراقك لا تنهمل، وأي حزن بعدك عليك لا يتصل، وأي جفن بعدك بالنوم يكتحل، وأنت ربيع الدين، ونور النبيين، فكيف للجبال لا تمور، وللبحار بعدك لا تغور، والأرض كيف لم تتزلزل. رميتك يا أبتابه بالخطب الجليل، ولم تكن الرزية بالقليل، وطرقتك يا أبتابه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول. بكتك يا أبتابه الاملاك، ووقفت الأفلاك، فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خال من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك، والجنة مشتاقه إليك وإلى دعائك وصلاتك. يا أبتابه ما أعظم ظلمة مجالسك، فوا أسفاه عليك إلى أن أقدم عاجلا عليك وأنكل أبو الحسن المؤمن أبو

ولديك، الحسن والحسين، وأخوك وولييك وحبيبك ومن ربّيتك صغيراً، وواختيتك كثيرة، وأحلى أحبّاتك وأصحابك إليك من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصراً، والشكّل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا ثم زفت زفراً وأنت آنة كادت روحها أن تخرج ثم قالت:

بعد فقدي لخاتم الأنبياء
ويك لا تخلني بفيض الدماء
وكهف الأيتام والضعفاء
والطير والأرض بعد بكى السماء
يا سيدِي مع البطحاء
في الصبح معلنا والمساء
الناس غريباً من سائر الغرباء
ه علاه الظلام بعد الضياء
فلقد تنغضت الحياة يا مولائي

قالت ﷺ: ثم رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها، وهي لا ترقأ دمعتها. ولا تهدأ زفتها ﷺ.

قل صبري وبيان عنِي عزائي
عين يا عين أسكبي الدمع سحا
يا رسول الله يا خيرة الله
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً
وبكاك الحجون والركن والمشغر
وبكاك المحراب والدرس للقرآن
وبكاك الإسلام إذ صار في
لو ترى المنبر الذي كنت تعلو
يا إلهي عجل وفاتي سريعاً

واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليهما السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنما نخبرك أن تسأليها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليهما السلام: حباً وكراهة. فأقبل أمير المؤمنين عليهما السلام حتى دخل على فاطمة وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله إن شيخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً. قالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبٍ من بين أظهرهم فوالله لا أسكع ليلاً ولا نهاراً أو الحق بأبي رسول الله عليهما السلام.

قال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ثم إنه بنى لها بيته في القيع نازحا عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام، وخرجت إلى القيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها.

ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوماً، واعتلت العلة التي توفيت فيها، فبقيت إلى يوم الأربعين، وقد صلى أمير المؤمنين عليه السلام الظهر وأقبل يرد المنيز إذا استقبلته الجواري باكيات حزینات فقال لهن: ما الخبر وما لي أراكن متغيرات الوجوه والصور؟

فقلن: يا أمير المؤمنين أدرك ابنة عمك الزهراء عليه السلام وما نظنك تدركها.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً حتى دخل عليها، وإذا بها ملقاه على فراشها وهو من قباطي مصر وهي تقبض يميناً وتمد شمالي، فألقى الرداء عن عاتقه والعمامة عن رأسه، وحل أزراره، وأقبل حتى أخذ رأسها وتركه في حجره، وناداها: يا زهراء! فلم تكلمه، فناداها: يا بنت محمد المصطفى! فلم تكلمه، فناداها: يا بنت من حمل الزكاة في طرف ردائها وبذلها على الفقراء! فلم تكلمه، فناداها: يا ابنة من صلی بالملائكة في السماء مثنى مثنى! فلم تكلمه، فناداها: يا فاطمة كلميني فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب.

قال: ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكي وقال: ما الذي تجدينه فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب.

قالت: يا ابن العم إني أجد الموت الذي لا بد منه ولا محicus عنه، وأنا أعلم أنك بعدي لا تصبر على قلة التزويج فإن أنت تزوجت امرأة أجعل لها يوماً وليلة وأجعل لأولادي يوماً وليلة يا أبا الحسن ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرتين فإنهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لامة تقتلهما وتبغضهما ثم أنشأت تقول:

أبكني إن بكيت يا خير هادي
 يا قرين البتول أوصيك بالنسل
 أبكني وابك لليتامى ولا تنس
 فارقوا فأصبحوا يتامى حياري
 قالت: فقال لها علي عليه السلام: من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر، والوحي
 قد انقطع عنا؟

فقالت: يا أبا الحسن رقدت الساعة فرأيت حبيبي رسول الله صلوات الله عليه وسلم في قصر من الدر الأبيض فلما رأني قال: هلمي إلي يا بنية فإني إليك مشتاق فقلت: والله إني لأشد شوقاً متك إلى لقائك، فقال: أنت الليلة عندي وهو الصادق لما وعد والموفي لما عاهد. فإذا أنت قرأت يس فاعلم أنني قد قضيت نحبي فغسلني ولا تكشف عنني فإني طاهرة مطهرة ول يصل على معك من أهلي الأدنى فالأدنى ومن رزق أجري وادفني ليلاً في قبري، بهذا أخبرني حبيبي رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

فقال علي: والله لقد أخذت في أمرها وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلوات الله عليه وسلم وكفتها وأدرجتها في أكفانها فلما همت أن أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم! يا زينب! يا سكينة! يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين صلوات الله عليهم وسلم وهما يناديان وا حستا لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء يا أم الحسن يا أم الحسين إذا لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرئيه منا السلام وقولي له: إننا قد بقينا بعد يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنيأشهد الله أنها قد حنت وأنت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها مليا وإذا بهاتف من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب، قال: فرفعتهما عن صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا أنشد بهذه الأبيات:

فراقك أعظم الأشياء عندي
وفقدك فاطم أدهى الشكول
سابكي حسورة وأنوح شجوا
على خل مرضى أنسى سبيل
ألا يا عين جودي واسعديني فحزني دائم أبيكي خليلي
ثم حملها على يده وأقبل بها إلى قبر أبيها ونادى: السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نور الله، السلام عليك يا صفوة الله مني
السلام عليك والتحية واصلة مني إليك ولديك، ومن ابنته النازلة عليك بفنائك وإن
الوديعة قد استردت، والرهينة قد أخذت، فوا حزناه على الرسول، ثم من بعده على
البتول، ولقد اسودت علي الغراء، وبعدت عني الخضراء، فوا حزناه ثم وأسفاه.
ثم عدل بها على الروضة فصلى عليه في أهله وأصحابه ومواليه وأحبابه وطائفة من
المهاجرين والأنصار، فلما واراها وألحدها في لحدها أنشأ بهذه الأبيات يقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وإن بقائي عندكم لقليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل^(١).

أقول: صحيح أن الرواة أغفلوا عن ذكر زينب عليها السلام في حياة أمها وكيف كانت
تذهب معها إلى قبر جدها وكيف رأت كل ما جرى مع أمها حتى شهادتها عليها السلام، إلا
أن هذا لا يغير من الواقع شيء، فعادت البنات مراقبة أمهااتهم فكيف إذا كانت البنت
زينب الحنونة العطوفة وكيف إذا كانت الأم الرؤوفة التي لا تفارق أولادها حتى في
كريلاء، فإذا كانت سيدتنا فاطمة عليها السلام جاءت إلى كربلاء ونظرت إلى حال زينب فهل
يعقل أن تركها في بيتها ولا تصطحبها إلى المسجد أو إلى بيت الأحزان؟!



(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٣/١٧٥ - ١٧٩ ح ١٥.



محطات ومواقف بين زينب والحسين

روى الطبرى عن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضنى إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوى مولى أبي ذر الغفارى ^(١) وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أفالك من خليل
كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل
 وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثة حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتنى عبرتى فرددت دمعي ولزنت السكت، فعلمت ان البلاء قد نزل، فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي! وعلى أبي! وحسن أخي! يا خليفة الماضي وشمال الباقي، فنظر إليها الحسين عليه السلام، فقال: يا أخيه! لا يذهبن حلمك الشيطان.

قالت: بأبي أنت وأمي، يا أبا عبد الله استقتلت! نفسي فداك! فرد غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلا لنام.

قالت: يا ويلتنا! أفتغصب نفسك اغتصابا! فذلك اقرح لقلبي! وأشد على

(١) ورد في مقتل الخوارزمي وغيره في خبر مقتله بلفظ «جون».

نفسي! ولطم وجهها وأهوت إلى جيبياً وشقته! وخرت مغشياً عليها! فقام إليها الحسين، فصب على وجهها الماء!

وقال لها: يا أختي! اتقي الله! وتعزى بعزاء الله! واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وإن أهل السماء لا يبقون، وإن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويعيث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني،ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة، قال: فعزاها بهذا ونحوه.

وقال لها: يا أختي! إني أقسم عليك فأبرى قسمي لا تشقي علي جيبياً ولا تخمشي على وجهها! ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت!

قال: ثم جاء بها حتى اجلسها عندي وخرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وإن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وإن يكونوا هم بين البيوت، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم^(١).

وروي من طريق آخر: أنه كان في الخيمة الإمام زين العابدين عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام، أما الإمام زين العابدين فلما سمع كلام أبيه عرف ما أراد فخنته العبرة، ولزم السكوت وعلم أن البلاء قد نزل - حسبما يقول - وأما عقيلة بنى هاشم عليها السلام فإنها لما سمعت هذه الأبيات أحسست أن شقيقها وبقية أهلها عازمون على الموت ومصممون على الشهادة فأمسكت قلبها في ذعر، وواثبت وهي تجر ذيلها، وقد فاضت عينها بالدموع، فقالت لأختها بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها:

«وائكلاء! واحزناء! لبت الموت أعدمني الحياة، يا حسيناه، يا سيداه، يا بقية أهل بيته، استسلمت، وينتسب من الحياة، اليوم مات جدي رسول الله صلوات الله عليه وسلم وأمي فاطمة الزهراء وأبي علي وأخي الحسن، يا بقية الماضين وثمال الباقين»

(١) معالم المدرستين للعسكرى: ٩٢/٣

فقال الإمام لها بحنان:

«يا أخة لا يذهبن بحلنك الشيطان».

وانبرت العقيلة إلى أخيها وهي شاحبة اللون قد مزق الأسى قلبها الرقيق
المعذب فقالت له بأسى والتياع:

«اتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أطول لحزني وأشجع لقلبي».

ولم تملك صبرها بعدما أيقنت أن شقيقها مقتول، فعمدت إلى جيبيها فشققته، ولطممت وجهها، وخرت على الأرض فاقدة لوعيها وشاركتها النسوة في المحنّة القاسية، وصاحت السيدة أم كلثوم:

«امحمداء، وأعلياء، وأماه، وحسينا، وأضياعاه بعدهك».

وأثر المنظر الرهيب في نفس الإمام فذاب قلبه الزاكي أسى وحسرات وتقديم
إلى السيدات من بنات الوحي يجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر والتحمل لأعباء هذه
المحنة الكبرى قائلاً :

«يا أختاه، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا ربب، انظرن إذا قتلت فلا تشققن علي
جيماً ولا تخمسن وجهاً، ولا تقلن هجرأ»

لقد عانى الإمام العظيم ألواناً قاسية ومذهلة من المحن والخطوب كانت بقدر إيمانه بالله فلم يكدر يفرغ من محنٍ حتى يواجهه سيل من المحن الكبرى التي لا يطيقها أي إنسان^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٣/١١٦.

موقف زينب في كربلاء

قال الإمام زين العابدين في وصف حزن زينب عليها السلام في كربلاء: .. وأما عمتى فلما سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تلك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وهي حاسرة حتى انتهت إليه، وقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم مات أمي فاطمة، وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضي، وثمال الباقي، فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال لها: يا أخته لا يذهبن حلمك الشيطان! وترقرقت عيناها بالدموع، وقال: لو ترك القطا [ليلاً] لنام^(١).

فقالت عليها السلام: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصابا؟^(٢) فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي، ثم لطمت وجهها، وهوت إلى جيبيها وشقته وخرت مغشية عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه اتقى الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقو، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، وبيعث الخلق ويعودون وهو

(١) القطا: جمع قطة وهي طائر في حجم الحمام صوته قطاطا وهذا المثل. قال الميداني: نزل عمرو بن مامدة على قوم من مراد، فطرقوه ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة طائرة، فنبهت المرأة زوجها فقال: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً ناماً. يضرب لمن حمل على مكرره من غير ارادته، وقيل غير ذلك. راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٧٤ تحت الرقم ٣٢٣١.

(٢) لا أرى لذكر الاغتصاب وجهاً والظاهر أنه تصحيف وال الصحيح: «افتغتصب نفسك احتساباً». يقال: احتسب ولدًا له: إذا مات ولده كبيراً، ومثله احتسب نفسه: إذا عدّها شهيداً في ذات الله، وقد مر في ص ٤٤ من ج ١٣٨ كلام الحسن بن علي (عليهما السلام) «اللهم اني احتسب نفسي عندك» فراجع.

فرد وحده، وأبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولني ولكل مسلم برسول الله أسوة، فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختاه إبني أقسمت عليك فأبرى قسمى لاتشقى علي جيما، ولا تخمشي علي وجها، ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي.

ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرن بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطباب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيقبلوا القوم في وجه واحد والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم قد حفت بهم، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم، ورجع إلى مكانه فقام ليتله كلها يصلى ويستغفر ويذعن ويضرع، وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون^(١).



(١) كتاب الارشاد ص ٢١٥ و ٢١٦.

فرع الهاشميات

روي أنه لما عزم الإمام على مغادرة يثرب واللجوء إلى مكة اجتمعن السيدات من نساءبني عبد المطلب، وقد جاشت عواطفهن بالأسى والحزن، فقد تواترت عليهن الأنباء عن رسول الله ﷺ عن مقتل ولده الحسين، وجعلن ينحنهن، وتعالت أصواتهن بالبكاء، وكان منظراً مفزعاً، وانبرى إليهن الحسين، وهو رابط الجأش فقال لهن:

«أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله»

فذابت نفوسهن، وصحن:

«لمن نستبقي النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله ﷺ، وعلى وفاطمة والحسن.. جعلنا الله فداك يا حبيب الأبرار..».

وأقبلت عليه بعض عماته، وهي شاحبة اللون، فقالت بنبرات منقطعة بالبكاء
لقد سمعت هاتفاً يقول:

إذن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت
 يجعل الإمام ﷺ يهدى أعصابها، ويأمرها بالخلود إلى الصبر، كما أمر سائر
السيدات من بنى عبد المطلب بذلك^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٨٢ / ٢ - ١٩٢.

سبب اصطحاب زينب والعيال الى كربلاء

قال السيد الخامنئي : إن الحسين بن علي عليه السلام لم يتوجه إلى كربلاء بهدف القتال ، فالذى يذهب إلى ميدان القتال لا بد له من الجنود؛ ولكن الإمام الحسين ابن علي عليه السلام كان قد حمل معه أهل بيته من النساء والأطفال ، مما يعني أن حادثة ستقع في ذلك المكان وستدغدغ عواطف البشرية على طول التاريخ حتى تتضح عظمة ما قام به الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يدرى أن أعداءه حقراء وسفهاء ، وكان يرى أنَّ الذين جاءوا لقتاله ليسوا سوى شرذمة من أراذل وأوبياش الكوفة طمعاً في الحصول على عطية تافهة وحقيرة هي التي دفعتهم إلى هذا المسلك وارتكاب مثل هذه الجريمة العظمى ، وكان يعلم بما سيحلّ بنسائه وأبنائه.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن غافلاً عن كل هذا ، ولكنه لم يكن مستعداً للاستسلام والعودة عن قراره ، بل كان يبحث على مواصلة الطريق مما يدل على أهمية هذا الطريق وعظمة هذا العمل ^(١).

أقول : هذا الأمر يرتبط بدراسة أبعاد ثورة كربلاء والتخطيط لها من قبل الإمام الحسين عليه السلام وسوف نتعرض لذلك باختصار وتفصيله إلى موسوعة الإمام الحسين عليه السلام.



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ١٠٩.

دراسة الإمام لأبعاد الثورة

قال السيد محمد باقر القرشي : درس الإمام الحسين عليه السلام أبعاد الثورة بعمق وشمول ، وخطط أساليبها بوعي وإيمان ، فرأى أن يزج بجميع ثقله في المعركة ، ويضحي بكل شيء لإنقاذ الأمة من محتتها في ظل ذلك الحكم الأسود الذي تذكر لجميع متطلبات الأمة .. وقد أدرك المستشرق الألماني مارين تخطيط الإمام الحسين لثورته ، فاعتبر أن الحسين قد توثّق النصر منذ اللحظة الأولى ، وعلم النصر فيه ، فحركة الحسين في خروجه على يزيد - كما يقول - إنما كانت عزمه قلب كبير عز عليه الإذعان ، وعز عليه النصر العاجل ، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ، ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة .

لقد أيقن أبو الشهداء عليه السلام أن القضية الإسلامية لا يمكن أن تنتصر إلا بفخامة ما يقدمه من التضحيات فصمم بعزم وإيمان على تقديم أروع التضحيات وهذه أهمها :

١ — التضحية بأهل بيته

وأقدم أبو الشهداء عليه السلام على أعظم تضحية لم يقدمها أي مصلح اجتماعي في الأرض ، فقد قدم أبناءه وأهل بيته وأصحابه فداءً لما يرتئيه ضميره من تعليم العدل وإشاعة الحق والخير بين الناس .

وقد خطط هذه التضحية ، وأمن بأنها جزء من رسالته الكبرى ، وقد أذاع ذلك وهو في يشرب حينما خفت إليه السيدة أم سلمة زوج النبي تعذله عن الخروج ، فأخبرها عن قتله وقتل أطفاله .. وقد مضى إلى ساحات الجهاد وهو متسلح بهذا الإيمان ، فكان يشاهد الصفة من أصحابه الذين هم من أ Nigel من عرفتهم الإنسانية في ولائهم للحق ، وهم يتسابقون إلى المنية بين يديه ، ويرى الكواكب من أهل بيته

وأبنائه، وهم في غضارة العمر وريungan الشباب، وقد تناهبت أشلاءهم السيف والرماح، فكان يأمرهم بالثبات والخلود إلى الصبر قائلاً:

«صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً!!».

واهتزت الدنيا من هول هذه التضحية التي تمثل شرف العقيدة، وسمو القصد
وعظمة المبادئ التي ناضل من أجلها ، وهي - من دون شك - ستبقى قائمة على ممر
القرون والأجيال ، تضيء للناس الطريق ، وتمدهم بأروع الدروس عن التضحية في
سبيل الحق والواجب.

٢ - حمل عقائـل النبوة

وكان من أروع ما خططه الإمام العظيم عليه السلام في ثورته الكبرى حمله لعائق النبوة ومخدرات الرسالة إلى كربلاء، وهو يعلم ما سيجري عليهم من النكبات والخطوب، وقد أعلن ذلك حينما عذله ابن عباس عن حملهن معه إلى العراق، فقال له:

«قد شاء الله أن ياهن سايا...»

لقد أراد ﷺ بذلك أن يستكمل أداء رسالته الخالدة في تحرير الأمة وإنقاذه من الاستعباد الاموي .. وقد قمن تلك السيدات بدور مشرق في إكمال نهضة أبي الشهداء ﷺ فأيقظن المجتمع بعد سباته، وأسقطن هيبة الحكم الاموي، وفتحن باب الثورة عليه، ولو لاهن لم يتمكن أحد أن يفوه بكلمة واحدة أمام ذلك الطغيان الفاجر، وقد أدرك ذلك كل من تأمل في نهضة الإمام ودرس أبعادها، وقد ألمح إليها بعض العلماء والكتاب، وفيما يلي بعضهم :



أقوال في سبب اصطحاب زينب والنساء

١ — الإمام كاشف الغطاء:

وأكَدَ الإمامُ الشِّيخُ مُحَمَّدُ الْحَسِينُ آلُ كَاشِفِ الْغَطَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوْلَفَاتِهِ أَنَّ الْغاِيَةَ مِنْ خَرُوجِ الْإِمامِ بِعِائِلَتِهِ إِلَى كَرْبَلَا إِكْمَالًا لِنَهْضَتِهِ وَبِلُوغًا إِلَى هُدُفِهِ فِي تَحْطِيمِ دُولَةِ الْأَمْوَيْنِ يَقُولُ: «وَهُلْ تَشَكُّ وَتَرْتَابُ فِي أَنَّ الْحَسِينَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ لُوْ قُتْلُهُ هُوَ وَوْلَدُهُ، وَلَمْ يَتَعَقَّبْ قِيَامَ تَلْكَ الْحَرَائِرِ فِي تَلْكَ الْمَقَامَاتِ بِتَلْكَ التَّحْديَاتِ لِذَهَبِ قَتْلِهِ جَبَارًا، وَلَمْ يَطْلُبْ بِهِ أَحَدٌ ثَارًا وَلِضَاعْ دَمَهُ هَدْرًا، فَكَانَ الْحَسِينُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا عَمَلٌ لَا بَدْ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا تَلْكَ الْعَقَائِلِ فَوْجِبٌ عَلَيْهِ حَتَّمًا أَنْ يَحْمِلُهُنَّ مَعَهُ لَا لِأَجْلِ الْمَظْلُومِيَّةِ بِسَبِيلِهِنَّ فَقَطُّ، بَلْ لِنَظَرِ سِيَاسِيٍّ وَفَكْرِ عَمِيقٍ، وَهُوَ تَكْمِيلُ الْفَرْضِ، وَبِلُوغِ الْغاِيَةِ مِنْ قَلْبِ الدُّولَةِ عَلَى يَزِيدَ، وَالْمُبَادِرَةِ إِلَى الْقَضَاءِ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى الإِسْلَامِ وَتَعُودَ النَّاسُ إِلَى جَاهْلِيَّتِهَا الْأُولَى...».

٢ — أحمد فهمي:

يقول الأستاذ السيد أحمد فهمي : «وقد أدرك الحسين أنه مقتول إذ هو يعلم علم اليقين قبح طيبة يزيد، وإسفاف نحيزته، وسوء سريرته فيزيد بعد قتل الحسين ستمتد يده إلى أن يؤذى النبي ﷺ في سلالته من قتل الأطفال الأبرياء، وانتهاك حرمة النساء، وحملهن ومن بقي من الأطفال من قبرة إلى قبرة ومن بلد إلى بلد، فيثير مرأى أولئك حفيظة المسلمين، فليس ثمة أشنع، ولا أفظع من التشفي والانتقام من النساء والأطفال بعد قتل الشباب والرجال فهو بخروجه بتلك الحالة أراد أن يثار من يزيد في خلافته، ويقتلته في كرامته، وحقاً لقد وقع ما توقعه، فكان لما فعله يزيد وعصبته من فظيع الأثر في نفوس المسلمين، وزاد في أضفانهم ما عرّضوا به سلاة

النبوة من هتك خدر النساء، وهن اللاتي ما عُرفن إلا بالصيانة والطهر والعز والمنعة، مما أطلق ألسنة الشعراء بالهجاء والذم، ونفر أكثر المسلمين من خلافة الأمويين، وأسخط عليهم قلوب المؤمنين، فقد قتله الحسين أشد من قتله إيه». .

٢ — أحمد محمود صبحي:

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: «ثم رفض - يعني الحسين - إلا أن يصبح أهله ليشهد الناس على ما يقترفه أعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء فيفترى عليه أشد الافتراء حين ي عدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه وبين أعدائه، تقول الدكتورة بنت الشاطى: أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر، وسكتت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وإن كل الأحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة إنما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته.

أريد أن أقول ماذا يكون الحال لو قتل الحسين ومن معه جميعاً من الرجال إلا أن يسجل التاريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر أعدائه فيضيع كل أثر لقضيته مع دمه المسفوک في الصحراء...».

هذه بعض الآراء التي تدعم ما ذكرناه من أن خروج الحسين عليه السلام بعائلته لم يكن الغرض منه إلا بلورة الرأي العام، وإيضاح المقاصد الرفيعة التي ثار من أجلها ومن أهمها القضاء على دولة الأمويين التي كانت تشكل خطراً مباشراً على العقيدة الإسلامية وهناك رأي آخر أدلى به العلامة المغفور له الشيخ عبد الواحد المظفر، وهو أن الحسين إنما خرج بعائلته خوفاً عليها من اعتقال الأمويين وزوجها في سجونهم قال: «الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علينا وزوجتها في ظلمات السجون، ولا بد له حينئذ من أحد أمريرين خطيرين كل منهما يشنل أعضاء نهضته المقدسة!

إما الاستسلام لأعدائه وإعطاء صدقته لهم طائعاً لستنقذ العائلة المصونة وهذا

خلاف الإصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته، ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحى ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تطبق احتماله نفس الحسين الغيور ولا يردع أمية رادع من الحياة، ولا يزجرها زاجر من الإسلام.

إن أمية لا يهمها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدتها، وإدراك غاباتها فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية.

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، وزوجة عبيد الله بن الحر الجعفي وأخيراً زوجة الكمي الأسدى».

وعلى أي حال فقد حطم الإمام بخروجه وعائلته جميع مخططات السياسة الأموية ونسف جميع ما أقامه معاوية من معالم الظلم، فقد قمن عقائل الوحى بدور فعال ببث الوعي الاجتماعي، وتعريف المجتمع بواقع الأمويين وتجريدهم من الإطار الديني، ولو لاهن لأندرست معالم ثورة الحسين، وذهبت أدراج الرياح.

إن من ألم الأسباب في استمرار خلود مأساة الإمام الحسين عليه السلام واستمرار فعالياتها في بث الإصلاح الاجتماعي على امتداد التاريخ هو حمل وداع الرسالة وعقائل الوحى مع الإمام فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأي العام، فحملن راية الإيمان التي حملها الإمام العظيم، ونشرن مبادئه العليا التي استشهد من أجلها، فقد انبرت حفيدة الرسول ص وشقيقة الحسين السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام إلى ساحات الجهاد، وهي تدك حصون الظالمين، وتدمير جميع ما أحرزوه من الانتصارات في قتل أخيها، وتلحق بهم الهزيمة والعار، وتملأ بيوتهم مأساة وحزناً.

لقد أقبلت قائد المسيرة الحسينية عقبة الوحى زينب عليه السلام إلى ساحة المعركة وهي تشق صفوف الجيش تفتش عن جثمان أخيها الإمام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها أبصار الجيش، واستحال إلى سمع فماذا تقول أمام هذه الخطوب المذلة التي توأكت عليها؟ إنها وقفت عليه غير مدحوشة لم تذهلها الرزايا التي تميد

منها الجبال، فشخصت ببصرها إلى السماء؟ وهي تقول بحماسة الإيمان وحرارة العقيدة قائلة:

«اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مِنَّا هَذَا الْقَرْبَانِ».

وأطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموي بعد أخيها، وود الجيش أن تسيخ به الأرض فقد استبان له عظم ما اقترفه من الإثم وأنه قد أباد عناصر الإسلام، ومراكز الوعي والإيمان.

ولما اقتربت سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة خرجت الجماهير الحاشدة لاستقبال السبايا فخطبت فيهم عقيلة الوحي خطاباً مثيراً ومنهلاً وإذا بالناس حيارى لا يعون ولا يدرؤون قد استحالت بيوتهم إلى مأتم وهم يندبون حظهم التعيس ويبيكون على ما اقترفوه من الجرم، وحينما انتهت إلى دار الإمارة استقبلتها الطاغية متشفياً بأحط وأحس ما يكون التشفي قائلاً:

«كيف رأيت صنع الله بأخيك؟».

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات النصر والظفر قائلة:

«ما رأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفليج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

وأخذت هذه الكلمات ابن مرجانة فكانت أشق عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح، ولما انتهت إلى الشام هزت العرش الأموي بخطابها المثير الرائع، وحققت بذلك من النصر ما لم تتحققه الجيوش... لقد كان حمل الإمام الحسين لعائلته قائماً على أساس من الوعي العميق الذي أحرز به الفتح والنصر.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض أسباب الثورة الحسينية ومخطوطاتها^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢١٠ / ٢ - ٢١٣.

لماذا تخلف محمد بن الحنفية

في اللهو: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.

قال: يا أخي خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت^(١).



(١) في فتوح أعثم ٣٤/٥، مقتل الخوارزمي ١٨٨/١ وبعد سيرة جدي وأبي، أضافت يد التحرير «وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين عليهم السلام» وان الراشدين اصطلاح تأخر استعماله عن عصر الخلافة الأموية ولم يرد في نص ثبت وجوده قبل ذلك ويقصد بالراشدين الذين أتوا إلى الحكم بعد رسول الله متوليا من ضمنهم الإمام علي، فلا يصح ان يعطف الراشدين على اسم الإمام، كل هذا يدلنا على أن الجملة أدخلت في لفظ الإمام الحسين».

وصية الحسين عليه السلام لأخيه محمد

بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي عليه السلام، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب. ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل^(١).



(١) في فتوح أعثم ٣٤/٥، مقتل الخوارزمي ١٨٨/١ وبعد سيرة جدي وأبي، أضافت يد التحرير «وصيرة الخلفاء الراشدين المهديين عليهم السلام» وان الراشدين اصطلاح تأخر استعماله عن عصر الخلافة الأموية ولم يرد في نص ثبت وجوده قبل ذلك ويقصد بالراشدين الذين أتوا إلى الحكم بعد رسول الله متواتياً من ضمنهم الإمام علي، فلا يصح ان يعطى الراشدين على اسم الإمام، كل هذا يدلنا على أن الجملة أدخلت في لفظ الإمام الحسين».

سبب تخلف محمد بن الحنفية عن الحسين

قيل في أسباب تخلف محمد بن علي عليه السلام وجوه:
منها: إن الحسين عليه السلام لما خرج من المدينة لحقه محمد وأشار عليه أن يقيم إما
بمكة أو يسير إلى اليمن، وأبى الإمام عليه السلام إلا المسير إلى العراق ثم قال لمحمد:
وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تُقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عنّي شيئاً
من أمورهم ثم دعا بدواة وبياض وكتب وصيته وجعل محمد الوصي^(١). فيكون
تلخّف محمد بأمر الإمام الحسين عليه السلام.

على أن من جملة المصالح في تخلفه بالمدينة بأن يكون مرجعاً لبني هاشم كيلاً
يضموا بعد خروج الحسين عليه السلام.

ومنها: ما روي أنه لما عותب محمد بن علي عليه السلام على ترك الخروج ذكر كلاماً
حاصله: إنني علمت بعلم عهده إلى أبي أمير المؤمنين عليه السلام أسماء الذين يستشهدون مع
الحسين عليه السلام وأسماء آبائهم ولم أر إسمي بينهم فلعلت أنني لست من الشهداء معه
وخف أن يكون في سيره معه مثله مثل خروج عقيل إلى معاوية وتركه أمير المؤمنين عليه السلام
وإن كان محمد أجل شأناً وأرفع مكاناً من أن تعتريه مثل هذه الهواجس.

ومنها: ما روي في الأثر أن محمد بن الحنفية قد أصابته عين في يده فخرج بها
خروج وقد تعطلت عن حمل السلاح فيكون معذوراً في ترك الخروج مع أن
الحسين عليه السلام لم يطلب منه الخروج معه وذاك محل الإشكال^(٢).



(١) البخاري: ٤٤ / ٣٢٩.

(٢) انظر مثير الأحزان: ٢٧.



بَيْنَ الْعَقِيلَةِ زَيْنَبِ وَالْأَمَامِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ

روي في كامل الزيارة للشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد ابن قولويه طاب ثراه، قال: حدثني نوح بن دراج، قال: حدثني قدامة بن زايدة، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زايدة أنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً، فقلت: إن ذلك لكما بلغك، فقال لي: ولماذا تفعل ذلك، ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا، وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟

فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروره ينالني بسببه.

قال: والله إن ذلك كذلك؟

فقلت: والله إن ذلك كذلك، يقولها ثلاثة وأقولها ثلاثة.

قال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر، فلا أخبرتك بخبر كان عندي في النخب المخزون، فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعي ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري، واشتد لما أرى منهم قلقى، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتى زينب الكبرى بنت علي عليه السلام، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهله وقد أرى سيدى وإخوتي وعمومتي وولد عمى مصرعين ومضرجين بدمائهم، مرملين بالعراء، مسلبين، لا يكفون ولا يوارون، ولا يرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، لأنهم أهل بيت من الدليل والخمر.

قالت عليه السلام: لا يجزعنك ما ترى، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلوات الله عليه وسلم إلى

جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسم المضري، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً.

فقلت: وما هذا العهد، وما هذا الخبر؟

فقالت عليها السلام: نعم حدثني أم أيمن: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام، فعملت له حريرة، وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر.

ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزيده، فأكل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكلوا وأكل من ذلك التمر والزيادة، ثم غسل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يده وعلي عليه السلام يصب عليها الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرضاً به السرور في وجهه.

ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو، ثم خر ساجداً، وهو ينشج فأطالت النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم، لمارأينا من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي عليه السلام وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا يبكي الله عينيك؟ وقد أفرح قلوبنا مانرى من حالك؟

فقال: يا أخي سرت بكم - وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ههنا^(١) -

(١) روى تلميذ ابن قولويه الحسين بن أحمد بن المغيرة هذا الحديث بسندين أحدهما ما ذكره المصنف في المتن والآخر: قال: وقد كنت استفدت هذا الحديث بمصر عن شيخي أبي القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي رحمه الله مما نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري باسناده، عن قدامة بن زائدة، عن إبيه زائدة، عن علي بن الحسين عليها السلام.

فقال: يا حبيبي إني سرت بكم سرورا ماسرت مثله قط وإنني لانظر إليكم وأحمد الله على نعمته علي فيكم إذهبط علي جبرائيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على مافي نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبיהם وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم: يحيون كما تحبّي^(١) ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنا لهم في الدنيا، ومكاراة تصيبهم بأيدي اناس يتخلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك خبطا خبطا وقتلا قتلا، شئ مصارعهم نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولنك فيهم، فاحمد الله عزوجل على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

قال لي جبرائيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدهك، مغلوب على أمتك، متغوب من أعدائك، ثم مقتول بعدهك، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقي البرية، يكون نظير عاقر الناقة، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال تكثر بلواتهم ويعظم مصابهم، وإن سبطك هذا - وأومن بيده إلى الحسين عليه السلام - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض يقال لها كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفني حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة، يقتل فيها سبطك وأهله، وأنها من بطحاء الجنة، فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثير اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضبا لك يا محمد ولذريتك، واستعظاما لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استاذن الله عزوجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدهك، فيوحى الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهم: إني أنا الله الملك القادر الذي لا

(١) تحيون كما تحبّي، خ. لـ. والحباء هو العطاء بلا من.

يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلا لي
لأعذبن من وتر رسولي وصفيفي وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته،
عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين
بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك.

فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله قبض أرواحهم بيده.

وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد
مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم
بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفا صفا
عليهم ثم يبعث الله قوما من أمتك لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول
ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسميا لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء،
يكون علما لأهل الحق وسببا للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة
ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه، يسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره،
ويكتبون أسماء من يأتيه زائرا من أمتك متقربا إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آباءهم
وعشائرهم وبلدانهم، ويوسّعون في وجوههم بميسّ نور عرش الله «هذا زائر قبر خير
الشهداء وابن خير الانبياء» فإذا كان يوم القيمة سطح في وجوههم من أثر ذلك
الميسّ نور تغشى منه الابصار يدل عليهم ويعرفون به وكأنّي بك يا محمد بيني وبين
ميكلائيل، وعلى أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عدده، ونحن نلتقط من
ذلك الميسّ في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائد،
وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد
به غير الله عزوجل، وسيجد أناساً ممن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط، أن
يعفور سرّ ذلك القبر ويمحو أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثم قال رسول الله ﷺ: وهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب ﷺ: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي ﷺ ورأيت عليه أثر
الموت منه قلت له: يا أبا، حدثتني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك،



فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك ألم أيمن، وكأنني بك وبنسأء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبرا صبرا، فوالذي فلق العبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولې غيركم وغير محبيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر أن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحا في جول الأرض كلها في شياطينه وعفاريه فيقول: يامعشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من انتقم بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإنغرائهم بهم وأوليائهم، حتى تستحكم ضلاله الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثم قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولا لكان قليلا^(١).

قال المجلسي: العس القدح العظيم قولها «رمق بطرفه» أي نظر ونشج الباكى ينشج بالكسر نشيجا إذا غص بالبكاء في حلقة، من غير اتحاب، وخطه يخبطه ضربه شديدا، والبعير بيده الأرض وطئه شديدا والقوم بسيفه جلدتهم، وضفة النهر بالكسر جانبها والتزعزع التحرك، وكذلك الميد، والاصطدام الاضطراب يقال: الريح تصفق الاشجار فتصطفق، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه وتره يتراه وترا وتره، وضرب آباط الإبل كنایة عن الركض والاستعمال فإن المستعجل يضرب رجليه ببابطى الإبل، ليعدو، أي لوسائل سفرأ سريعا في طلبه حولا.



(١) بحار الأنوار: ١٧٩/٤٦ - ١٨٤، وكتاب العقيقة: ٢٦٦ - ٢٥٧، وكتاب زيارات: ٥٨. الفواطم/للشاكري:

بين زينب وزين العابدين في كربلاء

لما هجم الفجرا على زين العابدين عليه السلام وكان مريضاً قد أنهكته العلة، ومزق الأسى قلبه، فأراد الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن أن يقتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً له:

«سبحان الله! أقتل الصبيان؟ إنما هو مريض».

فلم يعن به الوعد، وبادرت إليه العاقلة عمه زينب عليه السلام فتعلقت به، وقالت لا يقتل حتى أقتل دونه فكف اللثام عنه، وقد نجا منهم بأعجوبة، واجتاز على النساء الرجس عمر بن سعد فصحن في وجهه ويكون فمنع الخبيث العسكري من التعرض لهن بسوء^(١).

وعندما جزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع لما رأى جثمان أبيه عليه السلام، وبحث أهل بيته وأصحابه منبودة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها وبصرت به عمه زينب عليه السلام فبادرت إليه مسلية قائلة:

«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفوون في أهل السماوات، انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم المضروحة فيوارونها وينصبون بها الطف علمًا لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علوًّا».

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٢٠٦/٣



وأزالت حفيدة الرسول ﷺ ما ألم بالإمام زين العابدين من الحزن العميق على عدم مواراة أبيه، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها من قيام جماعة من المؤمنين بمواراة تلك الجثث الطاهرة، وسينصب لها علم لا يمحى أثره، ويبقى خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها... وقد جدّ ملوك الأمويين والعباسيين على محوها وإزالة آثارها، وجهدوا نفوسهم وسخروا جميع إمكانياتهم إلا أنهم لم يفلحوا، ومضى مرقد الإمام شامخاً على الدهر، ومضت ذكراه تملأ رحاب الأرض نوراً وفخراً وشرفاً كأسماى صورة تعز بها الإنسانية في جميع أدوارها^(١).



(١) حياة الإمام الحسين ع للقرشي : ٣ / ٢٢٠.

زينب عند جزع الإمام زين العابدين

وقال: جزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع حينما رأى جثمان أبيه، وächst أهل بيته وأصحابه منبودة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها وبصرت به عمه زينب عليها السلام فبادرت إليه مسلية قائلة:

«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بها الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً».

وأزالت حفيدة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ما ألم بالإمام زين العابدين من الحزن العميق على عدم مواراة أبيه، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها من قيام جماعة من المؤمنين بمواراة تلك الجثث الظاهرة، وسينصب لها علم لا يمحى أثره، ويبقى حالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها... وقد جدّ ملوك الأمويين والعباسيين على محوها وإزالة آثارها، وجهدوا نفوسهم وسخروا جميع إمكانياتهم إلا أنهم لم يفلحوا، ومضى مرقد الإمام شامخاً على الدهر، ومضت ذكراه تملأ رحاب الأرض نوراً وفخراً وشرفاً كأسى صورة تعتز بها الإنسانية في جميع أدوارها^(١).



(١) حياة الإمام الحسين عليها السلام للقرشي: ٢٢٠ / ٣.

زينب تمرض زين العابدين

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين بن علي قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها وعمتي زينب عليه السلام عندي تمرضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وابي يقول:

يا دهر أفالك من خليل
كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك السبيل
 وإنما الأمر إلى الجليل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثة حتى فهمتها فعرفت ما أراد فخنتني عبرتي فرددت دمعي ولزمت السكون فعلمت أن البلاء قد نزل، فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وأنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلى أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا اخية لا يذهبن بحلنك الشيطان، قالت: بابي أنت وامي يا أبا عبد الله استقتل نفسي فداك، فرد غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطاء ليلاً لنام، قالت: يا ويلتي افتغضب نفسك اغتصاباً فذلك اقرح لقلبي واشد على نفسي، ولطم وجهها واهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيا عليها.

فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء وقال لها: يا اخية اتقى الله، وتعزى بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وإن أهل السماء لا ييقون، وإن كل شيء

هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولني ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

قال: فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أختي إني أقسم عليك فأبرى قسمى ولا تشقي عليّ جيّباً، ولا تخمسي عليّ وجهاً، ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت.

قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطواب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم^(١).



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٢٠.

بين زينب وعمر بن سعد

قال أبو مخنف: عن الحجاج بن عبد الله ابن عمارة بن عبد يغوث البارقي: وعتب على عبد الله بن عمارة بعد ذلك مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمارة: إن لي عند بني هاشم ليدا، قلنا: له وما يدك عندهم؟

قال: حملت على حسين بالرمح فانتهيت إليه، فوالله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت ما أصنع بأن أتولى قتله يقتله غيري، قال: فشد عليه رجالة من عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى أذعواه، وعلى من عن شماله حتى أذعواه، وعليه قميص له من خزوه معتم، قال: فوالله ما رأيت مكسورة قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جائعاً، ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرا مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب، قال: فوالله إنه كذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وكأني أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول: ليل السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد أقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟

قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته قال: وصرف بوجهه عنها^(١).



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٠.

موقف لزینب عند يزيد

قال أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت: لما اجلسنا بين يدي يزيد ابن معاوية رق لنا، وأمر لنا بشيء والطفلنا قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين: هب لي هذه يعنيني، وكنت جارية وضيئه فارعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بثياب اختي زينب، قالت وكانت اختي زينب أكبر مني واعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت: كذبت والله ولو مت ما ذلك لك ولك. فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت ان افعله لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، قالت فغضب يزيد واستطار ثم قال: اي اي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدرك، قال: كذبت يا عدو الله قالت: أنت أمير مسلط تشم ظالماً وتتغافل بسلطانك، قالت فوالله لكانه استحينا فسكت.

ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أعزب، وهب الله لك حتفا قاضيا.

قالت: ثم قال يزيد بن معاوية يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام اميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً واعواناً فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وآخوهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هن فيها.

قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن

تبكي وتتوح على الحسين، فاقاموا عليه المناحة ثلاثة، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا على بن الحسين إليه.

قال: فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال لعمرو بن الحسن: اتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالدا ابنه، قال: لا ولكن اعطني سكينا واعطه سكينا ثم اقاتله، فقال له يزيد، وأخذه وضمه إليه ثم قال: شنسته اعرفها من اخزم، هل تلد الحية إلا حية.

قال: ولما أرادوا ان يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو إني صاحبه ما سالني خصلة أبداً إلا اعطيتها إيه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وانه كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل، فيكونون امامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد انسان منهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل يننزلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا اخية لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك ان نصله؟

فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا، قالت لها: فنعطيه حلينا، قالت: فأخذت سواري ودمليجي، وأخذت أخي سوارها ودملجهها، فيبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حل يكن ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقراابتكم من رسول الله ﷺ.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجئ بالانقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله وبينما القوم محتجسون إذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا

وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فایقنو بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا، فانما يتضرر البريد يوم كذا وكذا فجاء البريد ولم يسمع التكبير وجاء كتاب بان سرح الاسارى إلى، قال: فدعا عبد الله بن زياد محفز بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن فقال انطلقا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس احمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز لأم وأحمق ولكنه قاطع ظالم.

قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين قال:

يُفلقْنَ هَامَّا مِنْ رِجَالِ أَعْزَةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْنَقُ وَأَظْلَمُ
ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَى هَذَا؟

قال: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمه، وجدى رسول الله خير من جده، وإنما خير منه وأحق بهذا الأمر منه، فأما قوله: أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباء، وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله،امي خير من أمه، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله خير من امي، وأما قوله جدى خير من جده: فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فيما عدلا ولا ندا، ولكنه إنما أتي من قبل فقهه، ولم يقرأ: قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنتزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قادر.

ثم ادخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال يزيد: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما أتي إليك أعظم مما أخذ منك ثم اخرجن فادخلن دار يزيد بن

معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا انتهن واقمن الماتم. وأرسل يزيد إلى كل امرأة ماذا أخذ لك، وليس منها امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينة تقول ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية.

ثم ادخل الأسرى إليه وفيهم علي بن الحسين فقال له يزيد: ايه يا علي، فقال علي: ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكם والله لا يحب كل مختال فخور، فقال يزيد ما اصاب من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم جهزه وأعطاه مالا وسرحه إلى المدينة^(١).



(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٣١

زينب تمنع طلب الشامي

روى الطبرى عن فاطمة بنت الحسين انها قالت: إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه - أخذتها أمة -^(١) يعنيني و كنت جارية وضيئه فأرعدت، وفرقت وظننت ان ذلك جائز لهم وأخذت بثياب عمتي^(٢) زينب عليها السلام.

قالت: وكانت عمتي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.
 فقالت عليها السلام: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله.
 فغضب يزيد فقال: كذبت والله ان ذلك لي ولو شئت ان أفعله لفعلت.
 قالت عليها السلام: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب عليها السلام: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك.
 قال: كذبت يا عدوة الله.

قالت: أنت أمير مسلط تشم ظالماً وتقهر بسلطانك.

قالت: فوالله لكأنه استحقى فسكت.

(١) ما بين الخطين في مقاتل الطالبيين ص ١٢٠.

(٢) في الأصل أخي محرف.



ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية.
قال: أعزب وهب الله لك حتفا قاضياً^(١).



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٦٢/٣.

كثرة مصائب النساء والأطفال خلدت عاشوراء

قال السيد الخامنئي : إن الحياة الكريمة لابد وأن يكتنفها الكثير من المصائب. وساحة الطف الحسيني بذاتها كانت مسرحاً لمصائب شتى . وإنه لمن العجيب حقاً كيف أن الله عز وجل جعل أرض عاشوراء الحسين عليه السلام مسرحاً لمجموعة من المصائب الكبرى ومنح أناساً عظاماً وفي مقدمتهم أبا عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام القدرة على تحمل هذه المصائب الكبرى بإباء وشموخ وصبر وشكر.

وإن ما جرى يوم عاشوراء فريد في تاريخ الإنسانية في كلا بعديه (المادي والمعنوي)؛ فلم تشهد الإنسانية على مدى حياتها واقعة تجسدت فيها كل هذه المصائب مجتمعة وبهذا القدر من الشدة والتنوع خلال برهة زمنية امتدت من الصباح حتى العصر، وكذا في البعد الثاني ، فالصبر الذي جوبهت به تلك المصائب كان فريداً من نوعه أيضاً.

لقد تجلّت في تلك الواقعة ألوان من الظلم والتقتيل ومشاعر الغربة والعطش ، وكذا الآلام التي يكابدها الإنسان في سبيل عائلته ، والقلق الذي يتتباه خوفاً من المجهول ، وما تلاه من فقدان أعز الأنفس في عالم الوجود - أي الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأبنائه وأصحابه - وما جرى عليهم من السبي على يد أناس أراذل بعيدين عن قيم الشرف؛ وياليت سببهم كان على يد أناس أشراف؛ فالسببي على يد أناس أشراف يُهون من وقع المصيبة ، ولكنهم سُبوا على يد أناس عديمي الشرف وهم أقرب إلى صفة الوحش الكاسرة منه إلى صفة الإنسانية.

وبعد ذلك العذاب المتواصل من الصباح حتى المساء ، ناءَ أهلُ بيت الإمام الحسين عليه السلام بمصيبة السبي التي وقعت أعباؤها على عاتق الإمام السجاد - إمام

زمانه وعلى العقيلة زينب عليها السلام - التي تأتي مكانتها بعد مقام الإمامة - ثم على النساء والأطفال الذين لا يتصرفون على الظاهر بمقامات معنوية عالية من قبيل الولاية والإمامية، إلا أنهم تحملوا ممارتها. وهذه هي العظمة التي خلدت واقعة عاشوراء.

لا ريب أنَّ أية فئة تقاسي المصائب في سبيل أهداف وغايات نبيلة وسامية ومقدسة - لا أن تكون مجرد غايات تافهة وعقيمة - وتتحملها بصبر وصلابة، يكون لها نصيب من تلك الفضائل.

وهذا هو السبب الذي يجعلنا ننظر بإجلال وإكبار لعوائل الشهداء والأسرى والمفقودين والمعوقين ولذات المعوقين والأسرى. فالشعب والتاريخ لا يسجل منقبة لفئة من الناس دونما سبب، فلو لا الصبر لما تحققت هذه الفضائل.

إنَّ الفترة التي يقضيها الإنسان في الأسر فترة عصيبة حقاً سيما إذا كان الأسر بيد الأعداء الذين وصف لنا أحرارنا الأعزاء عند عودتهم كيفية تعامل الأعداء مع الأسرى، فهم لم يعاملوهم مثلما عاملنا نحن الأسرى الأجانب لدينا، بل عاملوهم بأسلوب آخر بعيد عن الإنسانية.

إنَّ لكل لحظة من لحظات الليل والنهار التي تمر على أسرانا الذين لا زالوا في يد العدو - ولا نعلم بعدهم على وجه الدقة، ولكن على العموم نعلم بوجود مجموعة كهذه - فضيلة وثواباً عند الله. ويتبعهم في الأجر عوائلهم، فحالهم حال الشهداء؛ إذ قلنا أنَّ الثواب الأوفر يكون من نصيب الشهداء أولاً ثم يكون لعوائل الشهداء، فكذلك بالنسبة للأسرى، أي أنَّ الثواب الوفير والأجر الجزيل يناله الأسرى بالدرجة الأولى لأنهم هم الذين يكابدون هذا العناء، ثم يأتي الدور من بعدهم لكم أنتم يا عوائل الأسرى، وهو بلاشك أجر كبير أيضاً.

إنني أستشعر الآلام التي تعانيها العائلة التي فقدت أحد أعزّتها وبقيت تجهل مصيره؛ فالآمهات والأباء والزوجات والأبناء والعوائل، تعيش فترات مريرة وتمر عليها ساعات عصيبة ليلاً ونهاراً، إلا أنَّ الأجر الذي ينالوه كبير ويتناسب مع قدر هذه المشقة.

واعلموا يا أعزائي إن كل مصيبة تقع للإنسان له في أزائها أجر كبير عند ربها. والقضية ليست ذات طرف واحد؛ وإنما يتلقى الإنسان العوض من ربها أزاء كل معاناة وكل محنـة، ولا يُبخـس عند ربـه شيئاً، ولا يستوي عنده من استشهد ولده، مع من يعيش ولده إلى جانـبه بهـنـاء، ولا يتساوـي لـديـه من ضـحـى بـنـفـسـه أو بأـحـد أـعـزـائـه مع من لم يـكـابـدـ أـيـةـ مشـقـةـ، والـذـيـ فقدـ ولـدـهـ وـلـاـ عـلـمـ لـهـ بـمـصـيرـهـ لاـ يـسـتـوـيـ معـ الآـخـرـينـ.

فلكل مجـهـودـ أوـ عـلـمـ يـؤـدـيـهـ الإـنـسـانـ أوـ الـمـجـتـمـعـ أـجـرـ عـنـدـ اللهـ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَاهَا ثُوَّقَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُنَّ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ .



(١) سورة هود، الآية: ١٥.

(٢) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ٥٣.

زینب تحفظ دماء شهداء الحسین ﷺ

قال السيد الخامنئي : لعل حفظ دماء الشهداء لا يقل في مشقته أحياناً عن الشهادة ذاتها . والمشاق التي تحملها الإمام السجاد عليه السلام على مدى ثلاثين سنة ، والصعوبات التي كابدتها زينب الكبرى عليها السلام سنوات طويلة ، تدخل في هذا السياق ؛ فقد كابدوا الكثير حتى استطاعوا حفظ هذه الدماء ، ومن بعدهما لقي جميع الأئمة عليهم السلام مثل هذا العناء حتى عصر الغيبة .

ونحن اليوم مكلّفون بمثل هذا الواجب ، مع اختلاف ظروف اليوم عما كانت عليه آنذاك ؛ فحكومة الحق - أي حكومة الشهداء - قائمة اليوم والحمد لله ، فنحن إذن في ظلها مكلّفون بمسؤوليات جسمية^(١) .



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة : ٢٥١ - ٢٦٠

زينب تنشر أثر شهادة الحسين

كان لبنت علي وفاطمة وحفيدة الرسول الله ﷺ الدور الكبير في نشر أحداث كربلاء وما جرى فيها، إضافة إلى نشر مظلومية الإمام الحسين ع وعياله، وبالأخص شهادته العظيمة التي جاءت بعد جهاد كبير وحماية لتعاليم الإسلام والمقدسات الإسلامية.

قال السيد الخامنئي : إن مسألة الشهادة والتضحية لا يعتريها القدر، بل هي أداة الحركة في المجتمع، إلا أن البعض يغفل عن هذه الحقيقة، وإن ما ترون من النظرة السلبية تجاه الشهادة والإيثار لدى البعض، ناشئ عن غفلتهم، فإنهم لا يدركون ما لصيانة حرمة الشهداء والمضحيين من التأثير على واقع المجتمع والأمة والبلاد. فكلنا يعلم أن دم الإمام الحسين ع سفك في كربلاء، فنال شرف الشهادة العظيم حتى غدا سيد الشهداء، وكان بالإمكان الاكتفاء بهذا الوسام، إلا أنه لم يكتف بذلك حيث أُقيمت المسؤولية الكبرى منذ اللحظة الأولى على عاتق الإمام السجاد ع و زينب الكبرى سلام الله عليها فحملوا ظلامة الإمام وندائه إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي بمختلف الأشكال، وذلك بغية إحياء الدين الحقيقي والهدف الذي استشهد الإمام الحسين ع من أجله، فأخذ الإمام السجاد ع طيلة ثلاثين عاماً من عمره الذي عاشه بعد استشهاد أبيه، لا يفتأ يذكر الإمام الحسين ودمه واستشهاده في كل مناسبة، ولم يكن ذلك بهدف الإنتقام من بنى أمية، فحتى بعد أن طویت صفحة بنى أمية وزال أمرهم، واستتب الأمر لبني العباس، كان الإمام الرضا ع يحث الريان بن شبيب بعقد مأتم لذكر مصائب سيد الشهداء، فلم يكن ذلك إلا بهدف بقاء نهج الإمام



الحسين علماً لحركة الأمة الإسلامية نحو أهداف الإسلام، فلابد أن يبقى هذا العلم قائماً، كما أنه لا يزال قائماً ولا يزال هادياً إلى يومنا هذا^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ٢٦٧.

عبر من مواقف زينب

من الجهات المتعلقة بعاشوراء هي العبر المستفادة منه، فعاشوراء مضافاً إلى دروسه هو ساحة للعبير.

فيجب أن ينظر الإنسان في هذه الساحة فيعتبر.

ما معنىأخذ العبرة؟ معناه أن يقيس نفسه مع ذلك الوضع ويدرك أنه في أي وضع وحال. ما الذي يهدده؟ وما هي الأشياء التي تلزمها؟ هذه هي العبرة.

فمثلاً عندما تعبر الشارع وترى سيارة مقلوبة أو مصطدمة بأخرى وقد تضررت للغاية وقضي على ركابها فإنك تتوقف لترى ما هو السبب حتى تعتبر، وتعرف أية سرعة وأية قيادة تؤدي إلى هذا المصير.

وهو نوع آخر من الدروس ولكنه درس عن طريق الإعتبار، والآن نريد أن نبحث هذا الأمر بدقة أكثر.

والبحث في عبر عاشوراء يختص بالزمن الذي تكون فيه الحاكمة للإسلام. ويمكن القول - على أدنى الاحتمالات - أن مثل هذا البحث يختص الجانب الأساسي منه بمثل هذا الزمن الذي يوجب علينا وعلى بلدناأخذ العبرة.

ورأينا طرح هذه القضية وفقاً للصيغة التالية، وهي كيف أن المجتمع الإسلامي الذي التفت حول الرسول الأعظم ﷺ وأحبه وأمن به وامتلا بالدين حباً وشغفاً، ونشأ وتنامي في ضوء الأحكام التي ستحدث لاحقاً عن شيء منها، وفيه من أدرك عصر رسول الله ﷺ، كيف وصل به الحال بعد خمسين سنة أن يجتمع ويقتل سبط الرسول

أبغض قتلة؟ وهل هناك ارتداد ونكوص وانحراف أشد من هذا؟!

ألقت زينب الكبرى (سلام الله عليها) في سوق الكوفة خطبة عصماء بليغة تمحورت حول هذا، قالت فيها: «الا يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتباكون؟» وذلك لأنهم حينما شاهدوا رأس الحسين عليهما السلام على الرمح، وبنت علي عليهما مسبيّة، ولمسوا عمق المأساة ضجّوا بالبكاء. «فلا رقّات الدمعة ولا هدأت الرنة،..» ثم قالت: «إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً تخذون أيمانكم دخلاً يبنكم»^(١).

وهذا هو النكوص والارتداد والتراجع القهيري. فأنتم في الحقيقة كالمرأة التي غزلت الصوف ومن بعد ما أتمته نقضت الغزل وعادت إلى ما كانت عليه، وأنتم في حقيقة الأمر نقضتم غزلكم وأعدتموه صوفاً، وهذا هو التراجع. وهذه عبرة.

كل مجتمع إسلامي معرض لمثل هذا الخطر. لقد كانت أكبر مفخرة لإمامنا الخميني أنه حفّز الأمة على العمل بأحاديث الرسول الأعظم عليهما السلام.

وهل يمكن مقارنة غير الأنبياء عليهما مسبيّة وغير المعصومين بشخصية عظيمة كشخصية الرسول الأعظم عليهما مسبيّة الذي بنى ذلك المجتمع؟ ولكن انتهى الحال بذلك المجتمع إلى اقتراف تلك الجريمة. فهل كل مجتمع إسلامي معرض للإنسياق لمثل هذه الخاتمة؟

من الطبيعي أنه إذا اعتبر لا ينتهي إلى مثلها، ولكنه إذا لم يعتبر فمن الممكن أن يت sapi إلى هذا الحد. فهذه عبر عاشوراء.

أما نحن فقد وفقنا في هذا العصر بحمد الله وفضله لاقتفاء السبيل من جديد، وإحياء اسم الإسلام في العالم، ورفع راية الإسلام والقرآن عاليّة. وكانت هذه المنقبة

(١) الإحتجاج: ٢/٣٠.



من نصيب الشعب الإيراني الذي مرت على ثورته عشرون سنة تقريباً وهو ما انفك مرابطاً وصامداً على هذا النهج، إلا أننا إذا انتابتنا الغفلة، ولم نحترس أو نحاذر ونثبت على المسار كما ينبغي، فمن الممكן أن ننتهي إلى نفس ذلك المصير. وهنا يتضح معنى العبرة من عاشوراء^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ١٧٤.

نظرة إلى دقائق التاريخ

وقال : إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام عبرة لنا ، والعبرة أن يرى الإنسان كيف أنّ الحسين بن علي عليه السلام الذي كان يجلس على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله أمّام أنظار المسلمين ، يُقتل بتلك الصورة الفجيعة بعد مرور نصف قرن من ذلك . فهذا الطفل الذي يُيجّل إلى هذا المدى من قبل النبي صلى الله عليه وآله أمّام أعين النّاس ، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله في حقّه إنّي أحبّه فحسب - فالإنسان قد يحبّ شخصاً اليوم لكن قد يخرج حبه من قلبه غداً لمشكلة بينهما - ، بل قال رسول الله : «سيداً شباب أهل الجنة» ، والجنة ثمرة لعاقبة العمل ، فقد يكون الكثير صالحين في وسط الطريق لكنهم يتهاون في النهاية ، فعندما يقال : سيد شباب أهل الجنة ، فمعناه أنك تذهب من الدنيا سيداً ومحبوباً عند الله وتتصبح سيد شباب أهل الجنة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك بحقّ الحسن والحسين عليهم السلام ، في حين أنّ هذه الأمة قتلت الحسين بن علي عليه السلام بتلك الصورة الفجيعة أمّام أعين الذين رأوه على كتف النبي صلى الله عليه وآله .

أليس من الهرزل أن تساق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله في الأسواق والطرقات وتلهان إمرأة كزينة السلام ، فكيف آل الأمّر إلى هذا الحد؟
إنّها عبرة ، وأعظم من درس . إنّها نظرة إلى أعماق الروح ودقائق التاريخ والأحداث .



زينب عليها السلام والارتداد

وقال: إنّ زينب الكبرى عليها السلام قد أشارت في الكوفة إلى هذا المرض (الردة والارتداد) فقالت: «إنّما مثلّكم كمثلّ التي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً»، وهذا هو الارتداد.

أي أنّ الخطر متربّص بأمة خاتم النّبيين صلى الله عليه وآلّه بمقدار ما كان متربّصاً بأمة موسى عليه السلام. وإنّكم - ولله الحمد - فقد رأيتم الإمام (ره) عن قرب، ورأيتم كيف كان الإمام الخميني (ره) وبيان يهيب بالشعب على إنجاز عمل ما، وتذكّرون ما كان يحدث عندما كان الإمام (ره) يقول شيئاً في الحوادث المهمّة. فمتلاً لو ضاعفنا شخص الإمام (ره) إلى ما لا نهاية، لأنّه النبي صلّى الله عليه وآلّه هذا الإنسان المتصل بالوحى الإلهي والعالم بجميع الحوادث الصغرى والكبرى، وكانت توحى إليه الآيات القرآنية، لكن على الرغم من أنّه صلّى الله عليه وآلّه بنى المجتمع بكلّ صراحة ووضوح دون أدنى إيهام إلاّ أنه وقع بعده ارتداد فجيع وأليم لا يُنسى في التاريخ أبداً.

فهذه هي جرثومة الرّدة والارتداد^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ١٨٥.

دور العاطفة في كربلاء

قال السيد الخامنئي : لقد أصبح للعاطفة دوراً مميزاً في نفس واقعة كربلاء وفي استمرارها ، أدى إلى إيجاد بروز خلاف بين النهضة الحسينية والشيعية من جهة وبين النهضات الأخرى من جهة ثانية ، فواقعة كربلاء ليست قضية جافة ومقتصرة على الإستدلال المنطقى فحسب ، بل قضية اتحد فيها الحب والعاطفة والشفقة والبكاء .

إنَّ الجانب العاطفي جانب مهم؛ ولهذا أمرنا بالبكاء والتباكي ، وتفصيل جوانب الفاجعة.

لقد كانت زينب الكبرى عليها السلام تخطب في الكوفة والشام خطباً منطقية ، إلا أنها في نفس الوقت تقيم مأتم العزاء ، وقد كان الإمام السجاد عليه السلام بتلك القوة والصلابة ينزل كالصاعقة على رؤوس بنى أمية عندما يصعد المنبر ، إلا أنه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه .

إنَّ مجالس العزاء مستمرة إلى يومنا هذا ، ولا بد أن تستمر إلى الأبد؛ لأجل استقطاب العواطف ، فمن خلال أجواء العاطفة والمحبة يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق ، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء .

إنَّ العناصر الثلاثة للنهضة الحسينية تعتبر من العناصر الأساسية لبناء هذه النهضة ، هذا على مستوى التحليل ، وزاوية من زوايا عاشوراء الحسين عليه السلام ، إلا أنَّ هذه الزاوية تمثل لنا دروساً عمليةً كثيرةً .

وبما أننا نبلغ باسم الإمام الحسين بن علي عليه السلام ، وقد أتيحت لنا فرصة تخليد هذه الشخصية العظيمة ، التي من خلالها يمكن تبليغ الدين على جميع الأصعدة ، فينبغي أن يكون لكل عنصر من هذه العناصر ثلاثة دور في تبليغنا ، فكما يعتبر

الإقصار على الجانب العاطفي والغفلة عن الجانب المنطقي والعقلاني الكامن في واقعة كربلاء، تقليل من قيمة الواقعية، كذلك التغافل عن الجانب الحماسي المشفوع بالعزء هو تقليل من قيمة الواقعية، وضياع مجموعة من الكنوز الثمينة، فيجب على الجميع - قارئ العزاء، والخطيب المنبرى، والمذاх - أن يلاحظ ذلك^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ٨٦ - ٨١.

العواطف في ثورة عاشوراء

حادثة عاشوراء تنطوي في طبيعتها وذاتها على بحر زاخر من العواطف الصادقة. فهذه الفاجعة جاءت نتيجة لثورة إنسان عظيم ومعصوم، إنسان لا يمكن التشكيك بمقدار ذرّة في شخصيّته المتسامية، ويقرّ جميع المنصفين في العالم بتعالي هدفه وهو (إنقاذ المجتمع من براثن الظلم والاستعباد)، وقد أعلن عن هذا الهدف بوضوح عندما قال: «أيها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ولم يغير عليه بقول ولا بفعل كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله»^(١).

إذن فالهدف من الثورة هو الوقوف بوجه الظلم والطغيان.

وقد تحمل الإمام الحسين ﷺ من أجل هذا الهدف المقدس أشقّ أشكال الجهاد والصراع من أعداء الله؛ لأنّ أشقّ أشكال الكفاح هو الكفاح في الغربة. فالاستشهاد والقتل بين الأهل والأحبة ووسط تشجيع عامة الناس ليس بالأمر المستصعب جداً.

ففي صدر الإسلام حينما كانت تحدث مواجهة بين الحق والباطل وكان على رأس الجيش الإسلامي النبي الأكرم ﷺ أو أمير المؤمنين ﷺ كان الجميع يتبارى للذهاب إلى ساحة الحرب استجابةً لأمر النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ وال المسلمين يدعونهم ويدعون لهم، فكانوا يقاتلون العدو ويُقتلون وهم بين أهلهم وأحبتهم. فليس من الصعب جداً أن يقوم الإنسان بمثل هذا العمل.

(١) شرح إحقاق الحق: ٦٠٣/١١

ولكن الصعب هو القسم الآخر من أشكال الكفاح وهو الكفاح الشاق وال مليء بالمتاعب والعقبات، حيث ينزل الإنسان إلى ساحة الحرب وهو يرى أن جميع أفراد المجتمع يقفون ضده، أو يتغافلون عن نصرته، أو يحاولون الإبعاد عنه، وحتى الذين يؤيدونه في قراره أنفسهم لا يجرؤون على إعلان هذا التأييد بأسفهم.

ففي فاجعة كربلاء لم يجرؤ حتى أمثال عبدالله بن عباس أو عبدالله بن جعفر - اللذين كانوا من بني هاشم ومن تلك الشجرة الطيبة - على إبراز تأييدهما للإمام الحسين عليه السلام في مكة أو المدينة.

إذن فجهاد الغرباء من أشق وأصعب أشكال الجهاد في سبيل الله. فالجميع يقف بوجه ذلك الإنسان المجاهد ويعرض عنه حتى الأصدقاء.

حتى إن الإمام الحسين عليه السلام حينما دعا أحدهم إلى نصرته رفض نصرة ابن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعرض فرسه على الحسين عليه السلام بدلاً من ذلك. فهل توجد غرابة أعظم من هذه الغرابة؟ وهل يوجد كفاح في الغربة أشق من هذا الكفاح؟

وفي خوضه لهذا الصراع رأى الإمام الحسين عليه السلام بأم عينيه مقتل أولاده وإخوانه، وأبناء إخوته، وأبناء عمومته، وجميع بني هاشم، حتى أنه شاهد مقتل ولده الرضيع الذي كان له من العمر ستة أشهر فقط^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ٨٨

دروس من مواقف زينب في كربلاء

قال الإمام الخميني^(١): لقد ضخى علينا بأرواح ابنائه من الأطفال الخُدج حتى الشيوخ في سبيل الله تبارك وتعالى، إقتداءً بسيد الشهداء (سلام الله عليه).

لقد عَلِمَ سيد الشهداء عليه السلام الجميع ماذا ينبغي عليهم عمله في مقابل الظلم والحكومات الجائرة. فرغم أنه كان يعلم منذ البداية أن عليه أن يضحي - في طريقه الذي سلكه - بجميع أنصاره وأهل بيته من أجل الإسلام، إلا أنه كان يعرف عاقبة هذا الطريق أيضاً.

ولولا نهضة الحسين عليه السلام تلك لتمكن يزيد بن معاوية (٢٦ هـ - ٦٢ هـ) على عرش الخلافة بعد والده. وكان شاباً لا يملك من العلم والفضيلة أي شيء واشتهر بالفسق والفجور. استمر حكمه مدة ثلاثة سنوات ونصف، إذ قتل في السنة الأولى الحسين بن علي عليه السلام مع أصحابه وأنصاره، واستباح في السنة الثانية المدينة المنورة (محل حكم الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلامه) ومكان دفنه) وهجم في السنة الثالثة على مكة المكرمة. وأتباعه من عرض الإسلام مقلوباً للناس، فهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام منذ البداية، وكانوا يكثرون الحسد والحداد لأولياء الإسلام.

لقد تمكن سيد الشهداء عليه السلام من خلال تضحيته تلك - وعلاوة على إلحاق الهزيمة بهم، وبعد زعزعة أركان حكومتهم أن أدرك الناس بعد برهة حقيقة المصيبة

(١) في كتابه نهضة عاشوراء.

العظمى التي حلّت بهم - إرشاد الجميع على مرّ التاريخ إلى الطريق الصائب الذي ينبغي أن يسلكوه.

لقد عَلِمَ **الناس** أن لا يخسروا قلة العدد، فالعدد ليس هو الأساس، بل الأصل والمهم هو النوعية، والمهم هو كيفية التصدي للأعداء والنضال ضدّهم والمقاومة بوجههم، فهذا هو الموصى إلى الهدف. من الممكن أن يكون عدد الأفراد كبيراً إلّا أنّ نوعياتهم ليست بالمستوى المطلوب، ومن الممكن أن يكون عددهم قليلاً لكنهم أقوىاء أشداء وشامخو الرؤوس.

وهكذا بالنسبة لوضعنا، فلتكن القوى الكبرى الشرقية والغربية أعداء لثورتنا، ولتكتب جميع وسائل الإعلام العالمية ضد ثورتنا وتلتافق الأكاذيب، فإن الحقيقة واضحة وستظهر وستُعرف.

وعندما نهض **الحسين** **عليه السلام** واستشهد مظلوماً أطلق عليه البعض صفة (الخارجي) واتهموه بالمرroc عن طاعة «حكومة الحق القائمة آنذاك» لكن نور الله ساطع وسيقى ساطعاً وسيمتلىء العالم بنوره.

ما هو واجبنا ونحن على اعتاب شهر محرم الحرام؟ وما هو تكليف العلماء والخطباء الكرام في هذا الشهر؟ وما هي وظيفة سائر شرائح الشعب وفتاته؟ لقد حدد **سيد الشهداء** **عليه السلام** وأنصاره وأهل بيته تكليفنا وهو التضحية في الميدان، والتبلّغ في خارجه.

فنفس القيمة التي تمتلكها تضحية **الحسين** **عليه السلام** عند الله تبارك وتعالى ونفس الدور الذي لعبته في تأجيج نهضته تملكها - أو تقاريها - خطب السجاد **عليه السلام** وزينب **عليها السلام** هي زينب (سلام الله عليها) الوليد الثالث للأمام علي **عليه السلام** وفاطمة الزهراء سلام الله عليها (ولادتها عام ٦ هـ ق - وفاتها عام ٦٥ هـ ق) عاصرت زينب (سلام الله عليها) الأحداث التي جرت في عهد إمامية والدها وشقيقها الأكبر الإمام **الحسن** **عليه السلام** واستشهادهما. وحضرت فاجعة كربلاء وشاهدت استشهاد أخيها وأبناء أخيها وأبنائهما، وتبنت مسؤولية الإشراف على قافلة الأسرى بصبر لا نظير له وروحية

كبيرة، وذلك عندما قام جيش يزيد بأسر عوائل الشهداء والمتبقين منهم عصر يوم عاشوراء وأوصلت نداء شهداء كربلاء إلى أغلب الذين واجهتهم على طول الطريق الذي قطعه القافلة من كربلاء إلى الكوفة أولاً ثم إلى الشام (مقر سلطة يزيد) ثانياً وإن خطبها الثورية والمؤثرة في مجلس عبيدة الله بن زياد (حاكم الكوفة) ويزيد (خليفة زمانه) معروفة للجميع. أيضاً... فتأثيرها يعادل أو يقرب من تأثير تصحية الحسين عليه السلام بدمه.

وقال الإمام الخميني^(١): لقد أفهمنا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، إنَّ على النساء والرجال آلا يخافوا في مواجهة حكومة الجور. فقد وقفت زينب (سلام الله عليها) في مقابل يزيد - وفي مجلسه - وصرخت بوجهه وأهانته وأشبعته تحقيراً لم يتعرض له جميعبني أمية طرآ في حياتهم. كما أنها عليها السلام والسجاد عليه السلام تحدثاً وخطباً في الناس أثناء الطريق وفي الكوفة والشام، فقد ارتقى الإمام السجاد - سلام الله عليه - المنبر وأوضح حقيقة وأكد أن الأمر ليس قياماً لأتباع الباطل بوجه أتباع الحق، وأشار إلى أن الأعداء قد شوّهوا سمعتهم وحاولوا أن يتهموا الحسين عليه السلام بالخروج على الحكومة القائمة وعلى خليفة رسول الله!! لقد أعلن الإمام السجاد عليه السلام الحقيقة بصرامة على رؤوس الأشهاد، وهكذا فعلت زينب عليه السلام أيضاً.

وهكذا هو الأمر اليوم في بلدنا، فسيد الشهداء عليه السلام قد حدد تكليفنا، فلا تخشوا من قلة العدد ولا من الاستشهاد في ميدان الحرب، فكلما عظم هدف الإنسان وسمت غايته كان عليه أن يتحمل المشاق أكثر بنفس النسبة، فنحن لم ندرك بعدَ جيداً حجم الانتصار الذي حققناه، وسيدرك العالم فيما بعد عظمة النصر الذي حققه الشعب الإيراني.

وبنفس العظمة التي يتميز بها هذا النصر والجهاد يكون حجم المصائب والتحديات. وينبغي أن لا تتوقع أن لا تمسنا القوى الكبرى - التي قطعنا أيديها عن بلدنا وسنقطعها إن شاء الله عن باقي دول المنطقة - بأي سوء أو أذى، وعلينا أن لا

(١) في كتابه نهضة عاشوراء.



نتوقع بعد تحقيقنا لهذه الانتصارات أن نبقى نرفل بالسلامة كما كنا في السابق.

على جميع العلماء والخطباء وأئمة الجمعة والجماعة وكل من من شأنه الحديث مع الناس أن يوضحوا لهم كيف حصلت نهضة سيد الشهداء عليه السلام وحقيقة هذه النهضة وغايتها وقلة عدد الأنصار الذين خرجوا مع الحسين عليه السلام وما هي المصائب التي انطوت عليها تلك النهضة وكيف بلغت نهايتها وكيف أنها لن تنتهي.

إن علينا وعلى جميع الخطباء الالتفات إلى هذه النقطة وهي أنه لو لم تقع نهضة سيد الشهداء عليه السلام لما استطعنا نحن اليوم أن نحقق النصر، فوحدة الكلمة التي كانت السبب في انتصار ثورتنا تعود إلى مجالس العزاء، وفيها تم التبليغ للإسلام والترويج له.

لقد هيأ سيد المظلومين عليه السلام للجماهير وسيلة مكنته من عقد اجتماعاتها بسهولة ودون الحاجة إلى بذل جهود كبرى. والإسلام جعل من المساجد خنادق ووسائل، لأن هذه المساجد والتجمعات وصلوات الجمعة والجماعة هيأت جميع ما يراد لتحقيق ما فيه مصلحة الإسلام وما يقيض أسباب تقدم النهضة إلى الإمام، وخصوصاً مما تعلمناه من سيد الشهداء عليه السلام مما ينبغي عمله في ساحة الحرب وخارجها، وماذا يجب أن يعمله أولئك الذين يخوضون غمار الكفاح المسلح، وما هي واجبات المبلغين خلف جبهات القتال وكيف يقومون بذلك.



دروس وعبر للمرأة المسلمة من زينب عليها السلام

❖ دور المرأة الاجتماعي

من المسائل التي أصبحت مطروحة في هذه الأزمنة والتي يعتبرها البعض حقاً جوهرياً للمرأة هو عملها في المجتمع بمختلف مجالات العمل: السياسي والاقتصادي والاجتماعي، الإداري والتنفيذي والتشريعي فيواسونها بالرجل في مختلف المجالات.

مدعين على ذلك أنها تملك المؤهلات التي تجعلها تنجح في مهماتها بل قد تتفوق على الرجال.

والإسلام ليس ضدّ عمل المرأة بل قد يوجب - في بعض الأحيان - على المرأة أن تقوم بأعمال وتحتخص ببعض المجالات معينة من قبيل مهنة الطبابة عند الحاجة للنساء فقط، ومن قبيل توقف بعض الأعمال على امرأة معينة ونحو ذلك.

لكن الإسلام ضدّ تخلّي المرأة عن واجباتها التي هي من أولويات عمل المرأة؛ وواجبها تجاه أسمها وأئتها، وواجبها تجاه زوجها وأولادها، وواجبها تجاه ربّها وعبادته وطاعته.

ورد في بعض الروايات أنّ على المرأة أن تلزم بيتها ومرادها أن الجلوس في البيت واجب إذا كان الخروج محرّماً أو كان في البيت ما يجب أن تفعله تجاه زوجها وأولادها وأبيها.

إذا أرادت المرأة أن تعمل خارج المنزل فتقضي من الصباح إلى العصر في

عملها ثم تأتي متيبة إلى منزلها بما يشغلها عن الاهتمام بوظائفها اتجاه البيت وتربية الأولاد، وعن تأية الدور الذي أهلها له الله عز وجل مما يسبب لها وأسرتها الكثير من المشاكل الزوجية.

العمل خارج المنزل يجعل الزوجة لا توجه لها ولا اهتمام في خدمات المنزل ولا اعتناء لها بأولادها وزوجها وأبويها، ويوماً بعد يوم يتكرر العمل ويتكرر الجفاء مع من يجب عليها أن تهتم بهم وتعطف وتحن عليهم، كما هي الزوجة الصالحة والأم الحنونة والبنت البارّة وكما كانت زينب بنت علي رضي الله عنها.

هذا إذا كان عمل المرأة مشروعًا وضمن الحدود الشرعية، أما إذا كان العمل يريد للمرأة أن تخلّى عن أوثتها وعفتها وشرفها وواجباتها تجاه ربها فهو أمر لا يشرعه إنسان ولا رسالة سماوية ترضاه.

يريد الإسلام للمرأة أن تبني أسرة متكاملة مؤمنة عاملة صادقة، وهذه الأسرة لا تُبني إلا إذا أخذت المرأة دورها في تربية هذه الأسرة ورعايتها منذ اليوم الأول وحتى إنشاء أسر جديدة من أولادها.

يجب على المرأة أن تفكّر في بناء المجتمع من خلال بناء أولادها، كما ويجب عليها أن تفكّر فيما يحتاجه هذا المنزل من حاجيات ومهام قبل أن تفكّر في العمل خارج المنزل.



دور المرأة في تربية الأولاد

من أهم أدوار المرأة هو دورها تجاه أولادها، إذ بناء كل مجتمع ورقمه متوقف على هؤلاء الأولاد رجال المستقبل. فبقدر ما يتعلم هذا الولد من أمه - إضافة إلى المدرسة والمجتمع الذي يعيش فيه - ويعتنى به في تعليمه المسائل الأخلاقية والإنسانية والسلوكية والوعي والفتنة في المجتمع، بقدر ما يرسم مستقبله وعطاءه في المجتمع.

وينبغي للأم أن تبدأ بتربية الأولاد في السن الباكر، والزوجة بمحافظتها على سلوكيها وطعامها وشرابها في أثناء الحمل تحافظ على سلوك وأخلاق وتربية الطفل، بل قبل ذلك فإن رعاية الزوجين للمستحبات من حين ليلة العرس الأولى يؤثر على الطفل وأخلاقه وصفاته.

ولابد لها من تعليمه الأدب والأخلاق واحترام الكبار وإبعاده عن المحرمات، وتعليمه ما هو محرم ليتعدّد على الإجتناب عنه، خاصة الإسراف في الطعام والشراب والآلات والكهرباء وما شابه ذلك، فإن تربية الطفل وتعويذه على هذه الأمور في صغره مهم جدًا.

وأن تأمره - الأم - بترك الكذب وقول الباطل، وتنهاه عن الكلام البذي والسباب، وأن تؤديه بالأداب الإسلامية، كأن تعوده على التسمية عند الطعام والشراب، وبين وعند الخروج من المنزل أو القيام بأي عمل، فإن كل شيء لا يبدأ به باسم الله فهو أبتر.

وأن تأمره بغسل يديه قبل الطعام، وإن أمكن أن تأمره بالوضوء قبل الطعام لما



فيه من الأثر الشرعي على نفسيته وأخلاقه، بل الوضوء على كل حال أمر مهم واستحبابه مؤكد.

وأن تبعده عن أكل الحرام والنجس والمشبوه، وعن الأمكنة التي يكثر فيها الفساد والله ووالطرب.

وأن تمنعه من حضور الأفلام التي فيها موسيقى وغناء أو فساد.

وأن تعوده على طاعة الوالدين وصلة الرحم من صغره.



دور المرأة في عبادة الله تعالى

قديماً قيل: صلاة النساء عندما تغيب الشمس على الوديان، فماذا يقال
حديثاً؟!

ولعلنا نفصل بين بداية حياة الزوجة ونهايتها، ففي بداية حياتها ويسبب كثرة
مشاغلها إنْ في بيتها وخدمته، وإن في تربية الأولاد وتعليمهم وإن في خدمتها
لمجتمعها، فإنّنا نجد عند بعض النساء أن آخر همّهن عبادة الله تعالى، صلاة، صوم،
حجّ، زكاة، خمس، أمر بمعروف ونهي عن منكر، ونحو ذلك..

فالغالباً ما يكون اهتمام الزوجة بأشغالها العامة والخاصة مانعاً لها عن الاهتمام
بصلاتها وطاعة ربها.

فهي ت يريد أن تهيء طعام الأولاد وزوجها في موعده فيتعارض مع الصلاة في
أول وقتها ظهراً ومساءً، وتريد أن تقوم بتنظيف المنزل وغسل أواني الطعام فيتنافى مع
قراءتها للقرآن ولدعاة التوسل وكميل وكثير من المستحبات.

تريد أن تصوم مستحبةً ولكن قد يؤثّر على عملها الواجب، وهكذا في بقية
الأمور التي تشغل المرأة عن طاعة ربها.

نعم، كثير من أفعال المرأة المذكورة هي أيضاً طاعة لله، فطاعة الزوج طاعة
من الطاعات التي أمر الله بها، وكذلك تربية الأولاد وحمايتهم، إنما نعني بالطاعة
ال العبادة الخاصة من صلاة وصوم ودعاء ونحوهم.

هذا في بداية حياة الزوجة.

وأما في نهاية حياتها، فإنّها إن قدر لها أن تعيش إلى سنّ كبير فإنّ مسؤولية
البيت تخفّ، الأولاد يكبرون وقد يساعدوها في أعمال المنزل، وقد يخرجن عنها

لتبقى هي وزوجها، ومن جهة أخرى يقلّ عندها الإهتمام بالدُّنيا وزيتها مما يساعدها على الإهتمام بالجانب الروحي والعبادي لها، فتتجه إلى عبادة ربها وصلاتها وصومها ودعائها وزيارات أهل البيت عليه السلام.

وأحياناً هذه الأمور المطلوبة تكون على حساب الزوج إذ كثرة حبّها لعبادة ربها وعطشها للتقرب من الله ذلك العطش الذي صبرت عليه سنوات، فإنه يؤدي إلى تقصيرها بحقّ زوجها من الناحية الجنسية، إما لعدم الوقت لديها فكلّ وقتها عبادة وإما لعدم الرغبة في المقاربة في ذلك السنّ.

ولكن يجب أن تعلم أنَّ ذلك من أكبر الكبائر فقضاء حاجة زوجها واجب مهما كانت الظروف^(١)، وهو لا يتنافى مع الصلاة والصوم والدعاء، وقد روي عن النبي ص التحذير من كثرة الصلاة من أجل منع الأزواج عن قضاء حاجتهم، فيمكن لها أن تهتمّ بزوجها إلى جانب اهتمامها بعبادتها، وإن كانت طاعة الزوج نوعاً من العبادة، إن لم نقل أنها أفضلها.

وقد تكون هذه المسألة تختلف من شخص إلى آخر ومن امرأة إلى أخرى، وعلى كلّ حال يجب على المرأة أن تلتزم بكلّ ما فرضه الله عليها، وأن لا تنسى عبادة الله تعالى، ولا تنتظر إلى أن تبلغ من العمر الخمسين، ولها أن تستفيد من أوقات فراغها لقراءة القرآن والدعاء والتوكيل بأهل البيت عليهم السلام.

وكثرة المشاغل عند النساء لا ينبغي أن تكون مانعاً عن العبادة الخاصة، إذ كما أنَّ المرأة تخصص وقتاً للخروج من المنزل أو للوقوف أمام المرأة أو للنوم أو لأيّ عمل فعليها أن توجد وقتاً مناسباً لصلاتها ودعائها وقراءة القرآن، فليس صنع الطعام كغذاء مادي للجسد أفضل من الدعاء وقراءة القرآن كغذاء معنوي للروح.

لماذا تفكّر المرأة دائمًا بتحسين مفاتنها ولباسها وتسريع شعرها وأناقة هندامها، ونراها تراقب آخر الموديلات - الأمر الذي ليس محترماً - ولا تفكّر في تحسين

(١) يستثنى حالة المرض الشديد.

أخلاقها وروحيتها وإزالة سوسة الشيطان عن قلبها، والانتقال من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة أو لا أقلّ إلى النفس اللؤامة!

إن الله عزوجل كما أمر بتحسين المفاتن وإظهار الزوجة بأفضل هيئة لزوجها، كذلك أمر سبحانه بتزكية النفس وتهذيبها بقوله عز من قائل: ﴿وَتَقِيسُ مَا سَوَّيْتَهَا﴾ ﴿فَأَهْمَمْهَا بُحُورَهَا وَتَقْوَيْهَا﴾ ﴿فَدَأْلَعَ مَنْ رَجَّكَهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾^(١)، الأمر الذي يؤثر على علاقة الزوجة بزوجها وكيفية تعاملهما فيما بينهما.

أيها الأعزاء لتنفذ زينب بنت علي وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليهما قدوة ولتحمل القرآن الكريم وكتب الأدعية كما كانتا يحملنها صلوات الله عليهما، في الصباح والمساء - مع عدم تخليهما عن وظائفها المتزلية على أكمل وجه -

لنتوجه - أيها الأعزاء - إلى تهذيب النفوس والعيش مع الله تعالى، لنمهّد لدار الخلود من دار المرور كما علمتنا زينب الطاهرة صلوات الله عليها وعلى أمها وأبيها وبعلها وبناتها.

وسبيل نجاة المرأة وهو بأن يجعل الزوجة لها برنامجاً تجمع فيه كل الواجبات المأخوذة على عاتقها.

تستطيع أن تطيع زوجها ووالديها وتهتم بأولادها وبيتها وتعبد ربها كما كانت تفعل زينب وفاطمة صلوات الله عليهما.

وستستطيع أن توفر وقتاً لخدمة المجتمع بقدر ما يحتاجه، بشرط أن لا يؤثر على حياتها الزوجية تأثيراً مضرأ يؤدي إلى خرابها.

انظر إلى زينب صلوات الله عليهما كيف لم تترك صلاة الليل في ليلة عاشوراً، وليلة الحادي عشر والثاني عشر من المحرم، فرغم التعب والحزن والمأساة التي مررت عليها لم تترك حتى المستحب.



(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠.

دور المرأة في الحياة الزوجية

يعتبر الزواج إكمال لنصف الدين الأمر الذي يشجع الكثرين عليه إضافة إلى الراحة النفسية والمادية، بيد أن هناك مشاكل وأحداث بين بعض المتزوجين تخوف قسماً من هؤلاء، وتبّطّهم عن الزواج.

وغالبية هذه الأحداث والمشاكل قابلة للحل أو يمكن تفاديتها قبل أن تقع وتحصل، نعم يجب توعية النساء والرجال كباراً وصغاراً على عدة أمور لكي يتفادوا الكثير من المشاكل، لأن الجهل هو أحد الأسباب المهمة في هذه المشاكل، إلى جانب رغبة الزوج والزوجة في العيش الهادئ وتشكيل أسرة حصينة مؤمنة على أساس الأخلاق والتربية الحسنة، فإن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع؛ لأنه مؤلف من مجموعة أسر وعائلات.

نعم، على أهل الزوجة والزوج المساعدة في هذا الأمر فعليهم تهدئة المشاكل وتوعية الزوجين، بل عليهم أن يقوما بتوعية الزوجين قبل الزواج لتعرف الزوجة قبل الدخول إلى الحياة الجديدة إلى أين تذهب وكيف تعامل ومع من؟

وكذلك ليعرف الزوج كيف يتصرف مع شريكة حياته الجديدة، وكيف يبني أسرة جديدة مسلمة واعية صادقة عفيفة مؤمنة تكون نواة لهذا المجتمع وتصديقاً لمباهاة النبي الأعظم ﷺ في حديثه: «تناسلوا تناكحوا فإني أباهمي بكم الأمم يوم القيمة»^(١).

(١) جواهر الكلام: ٢٩/١٤.

قال تعالى: «وَمِنْ أَيْمَنِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَشْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَىذَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ»^(١).

من الله تعالى على البشرية بأن جعل الزوجة من نفس الزوج وضليعاً من أضلاعه لزيادة القرب ورفع التنازع الداخلي بينهما، فالزوجة لما كانت جزءاً من الرجل فإنه يجعل الرجل يعطى على جزئه ويحنّ عليه ويستيق إلىه ويدفع عنه الأذى، وكذلك الزوجة فإنها للسبب ذاته تحافظ على زوجها وتعطف وتحنّ عليه وتقلق عليه إذا غاب.

ثم بين سبحانه أن علة ذلك سكن الرجل إلى زوجته، والسكن هو الراحة النفسية والإطمئنان الذي يحصل عند الزوجين، وهو الاستقرار والهدوء الذي يعيش فيه الزوجان، والتفاهم وشق طريق الحياة في المجتمع على أساسه.

إن نجاح الرجل في المجتمع أو في عمله غالباً ما يكون ناتجاً عن سنته الإنساني واستقراره في بيته، وقد يقال: وراء كلّ رجل عظيم امرأة عظيمة.

المرأة التي تهيء أسباب الراحة للزوج ولا تشغله بالأمور التافهة والجزئية، وتساعده على تخطي الصعوبات، تصرّب معه على الضراء والسراء، تهتمّ بمستقبله ومستقبل أولاده، إن هذه المرأة إمرأة عظيمة ساهمت في صنع رجل عظيم، وفي المقابل إن هذا الرجل الذي اختار هكذا امرأة وهيأ لها عيشة شريفة وعلّمتها من تجارب الدهور وصبر معها على الضراء والسراء، لرجل عظيم، وحديثاً قيل: وراء كلّ امرأة عظيمة رجل عظيم.

هكذا يكون التفاهم بين الزوجين وهذه هي حقيقة الزواج الذي شرعه الله تعالى «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» ثم توج الله هذا الزواج المثالى بأن رسم له القانون الذي يجب أن يتحاكم إليه الزوجان، جعل عزت آلته المودة والرحمة دستوراً إليها يمشي عليه الزوجان ويطبقونه في كل مفاصل حياتهما، بعيداً عن الغضب الشيطاني والعصبية والتنازع.

(١) سورة الروم: ٢١

إن كل سوء تفahم أو مشكلة تقع بين الزوجين تنحل إذا رجعنا إلى دستور الله القرآني، بل إذا تعامل الزوجان بالمودة والرحمة ووضعها أمامهما فإنه لا مجال للمشاكل بين الزوجين.

وفيما يلي نذكر حقوق الزوجين لنرى كيف تُرسم الحياة الزوجية من خلال الروايات، والتي لم تأت لتنهي علاقة الزوج بالزوجة وتحصر التعامل في الحقوق الآتية.

وبعبارة أخرى: إن كثيراً من الحقوق الزوجية غير توقيفية، كمسألة اعتماد الزوجة بنظافة ثياب الزوج الأمر الذي ليس واجباً عليها، فالشرع عندما يقول لا يجب على الزوجة ذلك، لا يعني أن ذلك حرام وأن تقف الزوجة عند ذلك، إنما الروايات الآتية تحدد تكليف كل فرد لكي يعرف الزوج أن الزوجة تنظف له ثيابه وتقوم بخدمته في المسائل التي لم يلزمها الشرع بها، وبذلك تقوى العلاقة بينهما فيبادرها الرجل بالمثل، ويبقى باب الحقوق مفتوحاً على مصراعيه يحكمه القانون الإلهي المودة والرحمة.

نعم بعض الأمور قد تصبح واجبة من قِبَل الطرفين، وذلك إذا أشترط ذلك في عقد الزواج، كما لو اشترط الرجل على زوجته أن تخدم أهله، أو اشترطت الزوجة عليه أن لا يخرجها من بلد معين.



المرأة وطاعة الزوج

روي عن النبي ﷺ أن شفاعة فاطمة للنساء مشروطة بطاعة الزوج: «فأيما امرأة صلت... وزكت مالها وأطاعت زوجها ووالت علياً بعدى دخلت الجنة بشفاعة فاطمة»^(١).

وفي حديث يحكي عن أثر طاعة الزوج مروي عن أبي عبدالله ع قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً ألا تخرج من بيتها حتى يقدم قال: وإن أباها مرض فبعثت المرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي خرج وعهد إليّ أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم، وإن أبي قد مرض فتأمرني أن أعوده؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فتقل فأرسلت إليه ثانيةً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟ فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت إليه أن أبي قد مات فتأمرني أن أصلّي عليه؟ فقال: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل بعث إليها رسول الله ﷺ إن الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك^(٢).

هذه الأحاديث وغيرها ترکز على طاعة الزوج وتجعلها شرطاً لشفاعة فاطمة ع، مما يجدر بنا أن نتوقف عند هذه الطاعة وعلى حدودها ومواردها، وعلى تعارضها مع طاعات أخرى كطاعة الله أو طاعة الوالدين.

وكذلك الحال بالنسبة لطاعة الزوج وعمل المرأة في المجتمع أو اهتمامها بنفسها من الناحية المادية، أعني الإهتمام ببدنها ولباسها وطعامها وبعض

(١) بحار الأنوار: ٤٣/٢٤ ح ٢٠.

(٢) الكافي: ٥١٣/٥ ح ١.

خصوصياتها، ومن الناحية المعنوية والروحية والرياضات النفسية والإنشغال بعبادة الله تعالى كالصلوة المستحبة والزيارات وقراءة القرآن ونحو ذلك.

وورد في حقوق الزوج ما يبيّن متى يجب على المرأة طاعة زوجها ولكن لا بأس بذكر قاعدة لذلك فنقول:

الأفعال والأقوال التي تتأتى من المرأة عادة تكون على خمسة أوجه طبقاً للأحكام الشرعية:

١ - أن يكون فعلها أو قولها واجباً، كأداء الصلاة اليومية والصوم والخمس من مالها وحجّ بيت الله الحرام، وجميع الواجبات العينية كما لو تعين عليها إنقاذ غريق من الماء ولا أحد سواها أو تعين عليها عمل إجتماعي واجب لا يقوم به أحد سواها، من قبيل أن تمتلك علمًا أو خبرة يتوقف عليها إنقاذ مريض، هذا من ناحية الفعل.

وكذلك من ناحية القول فإذا كان واجباً كالشهادة التي لو منعتها قتل إنسان بريء، أو توقف عليها إثبات حق واجب في تركه مفسدة كبيرة.

فإنّ في مثل هذه الأمور لو منعها الزوج لا يجب عليها طاعته. نعم، إذا سقطت الطاعة لا يسقط� الاحترام ولا الأدب ولا بقية الواجبات الزوجية تجاه الزوج، لأنّ الضرورات تقدر بقدّرها.

وأيضاً لا يسقط التباحث في الأمور المذكورة، فلعلّ منع الرجل كان للمحافظة على زوجته وبنته وأولاده، أو لعدم علمه بتفاصيل الواجب المعين، فعلى المرأة إقناع الزوج بذلك أو طلب المساعدة من الغير، ول يكن أحد أبويه لأنّهما أقرب شيء إلى قلبه.

وقد يكون الأمر من باب اختلاف النظر، كما لو شخصت المرأة أنّ هذا الواجب عيني عليها وفي تركه مضرّة لا تدارك، وشخص الرجل غير ذلك، فيشكل الأمر على الزوجة وعليها الامتناع عن هذا الفعل الواجب حتى يتبيّن الرجل أو تحلّ

المشكلة، وتقدم عندها طاعة الزوج لأنّها واجب والفعل المتنازع عليه وجوبه عليها كزوجة غير يقيني.

نعم، لا يجوز للرجل أن يدعى في أيّ أمر أن تشخيصه مخالف لتشخيص زوجته من أجل منعها منه، فإنه في ذلك يرتكب خلاف الشرع، وعلى الزوجة اختيار الوقت والمكان المناسب والأسلوب الهادئ لطرح هكذا أمور واجبة ومهمة لكي لا تقع فيما بعد بمشاكل لا تحمد عقباها.

وهذا التشخيص لا يجري فيه مثل واجب الصلاة والصوم والخمس والزكاة.

ويجري فيه الحجّ كالخلاف في الإستطاعة، ويجري فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبلیغ الدين الإسلامي إذا تعین عليها ولو في موارد محدودة. وسوف تتعرّض لذلك عند الكلام عن عمل المرأة في المجتمع.

أما صلة الرحم وطاعة الوالدين والتي هي من الأمور الواجبة فإذا تعارضت مع طاعة الزوج وذلك لو منعها من الخروج لأداء هذا الواجب فما هو المقدّم؟!

وردت روايات بتقديم طاعة الزوج بمعنى توقف زيارتهم على إذنه في الخروج من المنزل، ولعله أنّ حياة المرأة إذا رفضت طاعة الزوج سوف تهدّد، إذا مجرد وقوع هذا الرفض سوف يرثب الزوج - عادةً - عليه الآثار ليعاتبها فيه في آناء الليل وأطراف النهار.

نعم، على الزوج أن يراعي هذا الأمر وأن لا يحرم الزوجة من هذا الواجب، كما هو لا يحبّ أن يحرمه أحد من زيارة والديه وطاعتها وصلة أرحامها.

بل بمنع الزوج زوجته من زيارة والديها في بعض الأوقات يؤدّي إلى نفور الزوجة منه، ويعثر على نفسيتها وروحيتها الأمر الذي سوف ينعكس على تربية الأولاد والإهتمام بالزوج والبيت وخدماته.

وهذا يكون نقضاً للغرض إذ هدف الزوج من أصل الزواج أو من منعها عن

الخروج هو الإستقرار والسكن الإنساني، فكيف يعكر الزوج هذه الأمور بمنعها عن الخروج لزيارة أبيوها في وقت قصير ترتفع معه الحاجة.

وعلى المرأة أن لا تبالغ في الخروج إلى بيت والديها لكي لا يجعل الزوج يمنعها عن ذلك، بل عليها أن تقتصر على الواجب ولعله يكفي للزوجة أن تذهب إلى والديها في الأسبوع مرة واحدة أو في الشهر ثلاث مرات في الحالات العادلة، وقد تزيد إذا احتاجا إليها في مرض أو غيره، وكذلك يكفيها أن تقضي الساعة أو نصفها تقريباً عندهم.

والامر يختلف باختلاف الزمان والمكان، وفي حاجة الزوج إلى زوجته، أو حاجة الأهل لابنهم، أو في المناسبات الإسلامية أو العرفية، فإن خروج الزوجة من منزلها في الليل غير مناسب، وكذلك في أوقات راحة الزوج وحاجته إليها كأوقات النوم أو الطعام.

وكذلك مكان وجود الوالدين له تأثير فإنه لو كان بعيداً خارج بلد الزوج فلا يمكن لها الذهاب إليه متى شاءت إلا بإذن الزوج في الوقت المناسب والمحدد، لما فيه من مخاطر.

والواجب على الزوجة تجاه زياره والديها أن تراعي حاجة الزوج وأولادها وبيتها ونظافته وحاجياته، وزمان خروجها.

هذا كلّه إذا كان فعل المرأة وقولها واجباً.

وقد تسقط بعض الواجبات المذكورة بغير الحاجة إلى الخروج من المنزل، كما لو كان إثبات الحق يرتفع بر رسالة أو مكالمة هاتفية، وكذلك بالنسبة لصلة الرحم قد تسقط بالرسائل أو الهدية في بعض مواردها.

٢ - أن يكون فعل المرأة وقولها مستحبّاً: وهذا الفرع يفصل فيه بين ما يكون خارج المنزل وبين فعلها وقولها داخله، فما كان خارج المنزل يكون مشروطاً بإذن الزوج لزوجته في أصل الخروج من المنزل، وأيضاً أن لا يؤثر على الحياة الزوجية سلبياً.



أما ما كان منها في داخل المنزل فغير مشروط بإذن الزوج. نعم، هو مشروط بعدم مزاحمه للواجب.

ومثال الأول الخروج لدعاء كميل أو التوسل في المسجد أو زيارة الأئمة عليهم السلام أو صلاة الجمعة^(١)، أو زيارة الأقارب - غير الأرحام - أو لعيادة مريض أو الترحم على أهل العزاء ومواساتهم أو تهشة أصحاب الأفراح.

ففي هذه الأمور ونحوها يجب أخذ موافقة الزوج ورضاه أو العلم بعدم ممانعته لذلك.

وينبغي للزوج الموافقة على ذلك لما فيه من ثواب ومصلحة للزوجة أولاً ولنفس الزوج إذ بخروج الزوجة للدعاء أو الزيارات يجعلها في راحة نفسية ويعطيها الطاقة على هموم الدنيا وتحمّل عناء البيت.

كما وينبغي للزوجة التلطف في أخذ الإجازة للخروج من المنزل للأمور المستحبّة، وإقناعه بالثواب المترتب عليه له ولها، كما وعليها أن تراعي وقت الخروج وزمانه وأن لا يتعدى الساعة تقريباً لما وراءها من مسؤوليات تجاه زوجها وأولادها وبيتها.

وإذا كان دعاء كميل مستحبّاً وفيه الثواب، فإن طاعة الزوج وتربية الأولاد والإهتمام ببعض أمور البيت واجب وفيه من الثواب ما لا يعلمه إلا الله عزوجل.

ومثال الثاني: - العمل المستحبّ داخل المنزل - أن تقوم المرأة بالمستحبّات في بيتها من قبيل دعاء كميل والتوسل وزيارة الأئمة عليهم السلام وصلاة النوافل ونحو ذلك، فلا ينبغي للزوج منع زوجته عن ذلك إلا إذا كان مانعاً لواجب أو مؤثراً على واجب، كما لو تزاحم الدعاء أو قراءة القرآن مع حقّه الشرعي تجاه زوجته، أو كان مؤثراً على حقّه أو كان مانعاً من الإهتمام بتربية الأولاد وحمايتهم من الضرر، فعندها لا يجوز للزوجة فعل ذلك المستحبّ لتعارضه مع ما هو أهمّ وأوجب.

(١) صلاة الجمعة بنفسها من الأمور المستحبّة. نعم، إذا كان معها تعليم أمور فقهية محلّ ابتلاء الزوجة تصبح واجبة لذلك.

٣ - أن يكون فعل الزوجة وقولها محرماً أو مكروهاً: فهنا من الواضح تقديم طاعة الزوج الواجبة كما لو استغابت أحدها أو آذته أو أتت بما هو محظوظ ومنعها الزوج عنه أو عن الخروج من المنزل من أجله.

٤ - أن يكون فعلها وقولها مباحاً: وهنا تارة يكون داخل منزلها وأخرى خارجه، فعلى الأول لها أن تقوم بأي عمل مباح ولا يتحقق أن يمنعها إلا إذا أثر عليه أو أضر بها أو بآولادها أو كان مانعاً عن بعض حقوقه، كما لو أرادت الخياطة أو النوم أو الجلوس على شاشة التلفزة^(١) ونحو ذلك فلا يجوز للزوج منعها إلا إذا كان مضراً.

وعلى الثاني فهو موقف على إجازة الزوج بالخروج من المنزل إذا كان منافياً لحقه.

نعم، الأمر المباح قد ينقلب إلى مستحب أو واجب أو حرام أو مكره فيتبع عنوانه، كمشاهدة شاشة التلفزة فقد يصبح حراماً كما لو استمعت إلى الموسيقى اللهوية المطربة، وقد يكون واجباً كما لو استمعت إلى أمور فقهية محل ابتلائها، وقد يكون مستحبًا كما لو استمعت إلى دعاء.

وعلى الرجل أن يراقب زوجته ماذا تحضر على شاشة التلفزة في غيابه، وكذلك أن يراقب - مع زوجته - أولاده ماذا يشاهدون وما يفعلون.



(١) إلا إذا كان ما يشاهد أو يسمع في التلفزيون محظوظاً.

خروج الزوجة من منزلها

حدّد الإسلام للمرأة كيفية خاصة تتناسب مع المرأة عند خروجها من المنزل، كما وراعى وقت الخروج وزمانه بما يتناسب مع أنوثتها ولا يؤثّر على عفتها وشرفها.

لأنّ خروج المرأة في أيّ وقت وزمان وبأشكال ملفتة للناس أو مثيرة لشهوة الرجال يعرض المرأة لخطر كما يعرض الزوج لخطر أيضاً فيما لو وقعت بعض التجاوزات على زوجته، وهذا النوع من الخروج محظوظ عليها.

قال رسول الله ﷺ: «أي امرأة طبّيت ثم خرجت من بيتها فهي تُلعَن حتى ترجع إلى بيتها متى ما رجعت»^(١)

وفي رواية: «.. لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها»^(٢)

وتقديم عن سيدتنا زينب ؓ أنها كانت قليلة الخروج من المنزل، وكانت عندما تخرج لا يرى أحد شخصها لشدة إيمانها وعفتها وورعها، جعل الله نساء أمة النبي محمد ﷺ يقتدين بزينب بنت علي ؓ

والإسلام ومن باب المحافظة على الزوجة أجاز للمرأة وضع الطيب والرائحة الجميلة في بيتها، ولكنّه حرام^(٣) ذلك عليها إذا تعطرت وخرجت، لأنّها سوف تمرّ في طريق فيه رجال وشباب قد يفتنوا بهذه الرائحة.

(١) الكافي: ٥١٨/٥ ح٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤٣٨/٣ ح٤٥١٣.

(٣) إذا كان العطر بنحو قوي وكثير بحيث يصل إلى الآخرين.

وقد شاع في هذه الأزمنة حتى أصبح مورداً للتباهي بين النساء والتفاخر وضع العطور والخروج فيها من النساء السافرات والمؤمنات الأمر الذي أثار شهوة الرجال وساهم في إفساد المجتمع، فينبغي للمرأة المؤمنة والعفيفة أن تجتنب عن هذا الأمر المفسد عند خروجها ولتوفره إلى حين جلوسها مع زوجها كما أمر الله تعالى.

هذا أثر طاعة الزوج وصبر المرأة والتزامها ببيتها حفاظاً على زوجها وأولادها وعفتها وشرفها.

وقال النبي ﷺ: «ليس للنساء من سروات^(١) الطريق شيء ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق»^(٢).

ثم حدد الله تعالى مكان مشي المرأة إذا خرجت أنها تتقى وسط الطريق الذي هو مكان مشي الرجال والعلوج، وعليها أن تمشي إلى جانب الطريق وقرب الحائط لكي لا يشم الرجال رائحة النساء ولا يصطدمن بهن، حفاظاً من الله ورسوله على سلامة المرأة وعفتها وشرفها.

وعلى المرأة أن تختصر الطريق في خروجها فتذهب من الطريق الأقرب إلى مقصدتها، كما وعليها أن لا تمرّ من الطرق المخفية والضيقة ولا الطرق المشبوهة أو التي يكثر فيها المارة والتجمّعات الكثيرة للعلوج، والأمنة التي فيها الفساد والهرج والمرج.

وينبغي للمرأة أن لا تخرج ليلاً منفردة، بل على الرجل أن يمنع زوجته من الخروج بعد غروب الشمس وأن يلزمها العودة إلى منزلها قبلها، حفاظاً على شرفها وعفتها ودفعاً لكلام الناس عن المرأة التي تبقى خارج منزلها بعد الغروب.

وقال حامي المرأة والمحافظ على شرفها ﷺ: «لا ينبغي للمرأة أن تجمر ثوبها إذا خرجت من بيتها»^(٣).

(١) السروات: جمع سراة وهي وسط كل شيء.

(٢) الكافي: ٥١٨/٥ ح١.

(٣) الكافي: ٥١٨/٥ ح٢.

تجمير الثوب كنایة عن لبس الثوب المحمّر والمعصفر الملتف لأنظار الشباب، وذكر اللون الأحمر لأنّه يجعل المرأة في شكل لا يتحملّ الشباب غضّ النظر عنها، مما يوقعهم في الفتنة ويعرض تلك المرأة للخطر أو الإهانة وأهلها أو زوجها لمشاكل قد لا تحمد عقباها.

وكذلك لا يجوز اللباس الأصفر الفاقع إذا كان مثيراً لمفاتن المرأة، بل الحكم كذلك في كلّ لون من اللباس إذا صنع في كيفية خاصة مثيرة.

وي ينبغي للمرأة لبس الثوب الفضفاض المعتدل والمتعارف الذي لا يلفت أنظار الناس، وأن تتجنب المرأة اللباس الضيق الذي يحكّي جسدها ويشخص أعضاءها ومفاتنها الأمر الذي يؤدي للفتنة.

وعلى الآباء والأزواج أن يمنعوا النساء من لبس الألبسة المثيرة لشهوة الرجال والحاكمة عن مفاتن المرأة حفاظاً على أعراضهم ودفعاً للفتن والمشاكل التي تنتجه عن ذلك.

ولا ندري أين غيره أهل البنت التي تخرج متبرّجة سافرة بشكل لا يتناسب مع مبادئ المرأة المسلمة، بل وصل الأمر ببعضهم من الوقاحة بدرجة تفوقن به على النساء الأجنبيات؟.

وكذلك أين غيره الزوج الذي لا يحافظ على شرف زوجته وعفتها ويتركها تتحمّر وتتجمل للناس، وتضع العطور الملفونة وتخرج بها إلى الأسواق وأمكنة تواجد الرجال؟!.



سيادة الزوجة في البيت

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ امرء تدبّره امرأة فهو ملعون»^(١).

هذا الحديث الشريف لا يعني عدم جواز استشارة الزوج لزوجته أو عدم الأخذ بقولها إذا كان صحيحاً ومحقاً، وكذلك لا يعني حرمة توكيل المرأة بعض المهام المنزليّة لتكون هي المدبر لها.

إنما الحديث يريد التأكيد على قوله تعالى: «إِنَّمَا الْبَيْتُ لِلرَّجُلِ فَلَمْ يَرْثِيْنَ مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(٢).

فمدبر البيت وصاحب القرار فيه هو الرجل، يدبّر أموره كما تتطلب مصلحة البيت ومستقبل الأولاد، لا يحقّ له أن يظلم أحداً فيه ولا أن يتتجاهل من يعيش معه، فيعمل الرجل في بيته وعمله ونشاطه الاجتماعي والسياسي بما أراه الله ووضع فيه من قدرات ومؤهلات.

إذا جاءت الزوجة وأرادت فرض رأيها وإعماله على زوجها من دون قناعة الرجل فيه فهو أمر مرفوض وم ردود، لأنّه تدخل في قيمة الرجل المعطاة له من الله تعالى. نعم، إذا اقتنع الرجل بالفكرة أو العمل، أو أقنعته نفس المرأة بذلك لذكائها وحنكتها، فلا مانع لأنّه يصبح رأيه الذي تبنّاه بعد المشاوره مع زوجته وشريكة حياته.

(١) الكافي: ٥١٨/٥ ح ١٠، وميزان الحكمة: ١١٨٨/٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

نعم، هذا مختص بالأمور التي هي من اختصاص الرجل أعني تدبير أمور المنزل العامة التي ترسم حياة الزوجين ومستقبل الأولاد، من قبيل المدرسة التي يوضع فيها الأولاد أو المكان الذي يسكن فيه أو كيفية عمل الرجل خارج المنزل ووقته، وعلاقاته الاجتماعية والسياسية، فهي مختصة بالرجل ولا يحق للمرأة أن تعزل الرجل عن هذه المهام وتجلسه في المنزل كأحد أركانه وتلغى الرجولة فيه والمؤهلات التي أودعها الله فيه، ولو فرض وجود زوج ضعيف الشخصية، فعلى المرأة مساعدته لتقوية هذه الشخصية وتشجيعه على أن يصبح مثل بقية الرجال، لكي يتغلب على ذلك الضعف فتعطيه الثقة بنفسه لا أن تعمل على تحطيم شخصيته، وفي ذلك صلاح لها وله وأولادهم وصدق لمقوله: وراء كلّ رجل عظيم امرأة عظيمة.

وهناك أمور ترتبط بالمرأة منها ما هو خاص بها في منزلها فلها حق تدبيره كنوع الحياة التي تحب أن تعيشها من ناحية المأكل والملابس والتعليم ما لم ينافي حق الزوج.

ومنها ما هو عام للمنزل وهي الأمور التي تقوم بها المرأة في داخل المنزل كطريقة ترتيب المنزل وكيفية تنظيفه وصنع الطعام وكيفيته ونوعه وما شابه هذه الأمور التي توكل إلى المرأة غالباً، وقد تختلف الأذواق فيها، فإن المرأة موكولة بهذه الأمور تتصرف فيها بما يكون مصلحة لزوجها وأولادها.

نعم، هذا مشروط بعدم كون بعض الأمور منقرة للرجل كما لو كان لا يحب لوناً من اللباس أو نوعاً من الطعام فيجب مراعاته.

والخلاصة بالتفاهم بين الزوجين وتقسيم العمل داخل المنزل وخارجه كما كانت فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب عليهما السلام أو كما كانت زينب بنت علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر، لا تسلط لأحد على أحد كلّ يعمل بمجاله ويبعد في نطاق عمله في الأمور التي أودعها الله فيه.

وهذا لا يلغى التشاور والتعاون فقد كان علي يشاور فاطمة في الرأي ويساعدها على خدمة المنزل.

كما وكانت فاطمة عليها السلام تعاون علياً عليه السلام في مهماته وحروبه وتدافع عنه حتى أدى ذلك إلى إسقاط جنinya المحسن عليه السلام.

فلتكن زينب وفاطمة صلوات الله عليها قدوة للزوجة، ول يكن علياً عليه السلام وعبد الله قدوة للزوج، والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة.



تصرّف المرأة بأموال زوجها

قال رسول الله ﷺ في حديث حق الزوج: «... ولا تعطي شيئاً إلا بإذنه فإن فعلت فعليها الوزر وله الأجر...»^(١).

الأموال التي تصل إلى الزوجة منها ما يكون ملكاً لها كالهدايا التي تأتيها من أهلها وأصدقائها أو زوجها في مناسبات عدّة، أو كالأموال التي تحصل عليها من جراء عمل معين سواء في داخل البيت أم في خارجه، فهذه الأموال ملك لها لا يحق للزوج أن يأخذها، ولها التصرف بها كيف شاءت بما يرضي الله. نعم، ينبغي للمرأة استشارة الرجل في صرفها كما وعليها أن تساعده في مصروف البيت إذا كان محتاجاً لذلك دفعاً للمشاكل وحفاظاً على مستقبل الزوج والأولاد والزوجة نفسها.

ويلحق بهذه الأموال الهدايا التي تعطيها الدولة للزوجة ل التربية أولادها في بعض الدول الأجنبية.

ومن الأموال التي تصل إلى الزوجة ما يكون ملكاً للزوج من قبيل الزينة التي يعطيها الزوج لزوجته فإنّ الهدايا التي تعطى للزوجة تارةً تعطى لتملكها، وأخرى تعطى للتزيين بها لزوجها أو أمام النساء كالذهب ونحوه وهذا الأمر مربوط بنيّة الرجل عند إعطائها الهدايا.

ومن قبيل ما يبقى مع الزوجة من مصروف المنزل فإنه يبقى ملكاً للزوج. فلا يجوز للزوجة التصرف بهذه الأموال بلا إذن الزوج.

نعم، هناك أمر متعارف وهو مقدار من المال يعطى للزوجة كمصروف شخصي

(١) الكافي: ٥٠٨/٥ ح.٨.

لها «الخارجية» وقد يكون مقابل ما تقوم به الزوجة من خدمات في المنزل غير واجبة عليها كالتنظيف والغسيل والطبخ، فهذه الأموال ملك لها تتصرف فيها كما تشاء.

ولها أن تطلب الزوج بها بالحسنى واللباقة، إذ أنها نرى الرجل يكرم زوجته ويشتري لها من اللباس وغيرها ما هو غير واجب عليه. فلا بد من التفاهم بين الزوجين ولا يجوز فعل ما يؤدي إلى المشاكل الزوجية.

ومن الأموال والهدايا ما هو ملك للزوجين معاً، كهدايا العرس والميلاد والإنتقال إلى منزل جديد، إلا إذا عُدَّ عرفاً لأحدهما، كالهدايا التي يأتي بها أهل الزوجة فإنه قد يفهم عرفاً أنها تملك لها وإجازة للزوج بالتصرف فيها ما دام مع ابنتهما، وكذلك العكس ما يأتي به أهل الزوج فهو ملك له وللزوجة التصرف فيه ما دامت مع إبنتهما، وقد يلحق به الهدايا التي تأتي من الأصدقاء، فيفضل فيها بين أصدقاء الزوج والزوجة، فتأمل.

أو ما تهبه الدول الأجنبية للزوجين معاً، فهذه الأموال مشتركة بينهما لابد من مراعاة إذن الآخر عند التصرف.

نعم، قد يخصص الأب مثلاً إبنته أو ابنته بهدية في العرس فعندما تكون ملكاً للمحald له فقط.

ولا ينبغي التنازع بين الزوجين في هذه الأموال بل لا يليق أن يدخل الشيطان بينهما. ومن الأموال ما يكون ملكاً للأولاد كالهدايا التي تأتي لهم عند ولادتهم أو في حفلات مواليدهم وتكتليفهم، فلا يجوز التصرف بها إلا بإذن الزوج لمصلحة الولد - غير البالغ - نعم عند بلوغه يجب أخذ الإذن منه.

وللأب أن يصرف من مال ولده إذا كان محتاجاً وفقيراً، بل الابن وأمواله ملك للأب كما في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»^(١).



(١) الكافي: ١٣٦ ح ٦، ومتهى المطلب: ١٠٢٩/٢.

زينب تعلمنا كيفية المواجهة

قال الإمام الخميني^(١): لقد تعلمنا من الحسين عليه السلام كيفية النضال والجهاد وكيفية المواجهة بين قلة من الناس وكثرة كاثرة، وكيفية الوقوف بوجه حكومة تعسفية جائرة تسيطر على كل مكان، كيف نقوم بذلك بعدد قليل... هذه أمور علمها سيد الشهداء عليه السلام لأبناء شعبنا كما أن نجله الإمام السجاد عليه السلام وسائر أهل بيته عليهم السلام علّمونا ماذا ينبغي عمله بعد وقوع المصيبة هل ينبغي الاستسلام؟ هل يجب التخفيف والتقليل من النضال والجهاد؟ أم علينا أن نقتدي بزينب (سلام الله عليها) التي حلّ بها مصاب تصغر عنده المصائب فوقفت بوجه الكفر والزنادقة وتكلمت وخطبت كلما طلب الموقف وأوضحت الحقائق، تماماً كما مارس الإمام علي بن الحسين دوره التبليغي رغم الذي كان يعاني منه.

إنكم أيها السادة العلماء وجميع العلماء الموجودين في أنحاء البلاد مكلفوون بحفظ هذه النعمة الإلهية وهذه المنحة الربانية، مطالبون بشكر الله عليها، والشكر إنما يتحقق بممارسة التبليغ، بينما للناس وأفهموهم ما فعله سيد الشهداء عليه السلام وما كان يريد تحقيقه والطريق الذي سلكه والنصر الذي تحقق له وللإسلام بعد شهادته، وضحوا لهم أن ما فعله سيد الشهداء عليه السلام هو الجهاد من أجل الإسلام، وأنه كان يعلم أنه لن يتمكن بما تهيأ له من عدد قليل يقل عن المائة شخص من التغلب على ذلك النظام الظالم الذي يملك كل شيء.

(١) في كتابه نهضة عاشوراء.

عليكم أن تمارسوا التبليغ، فها قد جاء شهر محرم وعليكم إحياءه، فكل ما لدينا هو من محرم، ومن هذه المجالس. فحتى مجالس التبليغ تهيأت لنا هي الأخرى من شهر محرم وهي من ثمار مقتل سيد الشهداء عليه السلام واستشهاده.



زینب والسجاد قدوة الأحرار

❖ (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء)

قال الإمام الخميني^(١): لقد علم سيد الشهداء ﷺ الجميع ماذا ينبغي عليهم عمله في مقابل الظلم والحكومات الجائرة فرغم أنه كان يعلم منذ البداية بأن عليه أن يضحي - في طريقه الذي سلكه - بجميع أنصاره وأهل بيته من أجل الإسلام، إلا أنه كان يعرف عاقبة ذلك أيضاً.

علاوة على ذلك فقد علم الجميع على مر التاريخ وأرشدهم إلى أن هذا هو الطريق الصائب. علمهم أن لا يخسروا قله العدد، فالعدد ليس هو الأساس في تحقيق التقدم للإمام، الأصل والمهم هو النوعية، والمهم هو كيفية التصدي للأعداء والنضال ضدهم ومقاومتهم، فهذا هو الموصى إلى الهدف. من الممكن أن يكون عدد الأفراد كبيراً إلا أنهم قد يكونون خاوبين أو ليسوا بالمستوى المطلوب.

ومن الممكن أن يكون عددهم قليلاً إلا أنهم أقوىاء أشداء وشامخو الهامات.

لقد علمنا إمام المسلمين أنه عندما يحكم المسلمين طاغوتٌ جائر فعلى المسلمين علينا أن ننهض بوجهه حتى لو كانت قوانا لا تتناسب مع القوى التي يملكونها، علينا أن نقوم ونستنصر، علمنا أن نضحي ونسترخص دماءنا إذا رأينا كيان الإسلام عرضةً للخطر.

لقد علمنا سيد الشهداء ﷺ بنهايته ما ينبغي لنا عمله في ساحة الحرب

(١) في كتابه نهضة عاشوراء.

وخلفها، وماذا يجب أن يعلم أولئك الذين يخوضون غمار الكفاح المسلح وما هي واجبات المبلغين خلف جبهات القتال وكيف يؤدون ذلك.

تعلمنا من الحسين عليه السلام كيفية النضال والجهاد الذي تقاده قلة من الناس بوجه جحافل الظلمة، وكيف يكون ثلة قليلة بوجه حكومة تعسفية جائرة تسيطر على كل مناحي الحياة.

هذه أمور تعلّمها شعبنا من سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، كما تعلم من ابنه الجليل الفذ الإمام السجاد عليه السلام ماذا ينبغي عمله بعد وقوع المصيبة، هل ينبغي الاستسلام؟ هل يجب التخفيف والتقليل من حدة النضال والجهاد؟ أم أن علينا أن نقتدي بزینب عليها السلام التي حلّ بها مصاب تصغر عنده المصائب، فوقفت بوجه الكفر والزنادقة، وتكلمت وخطّبت كلما تطلب الموقف وكشف الحقائق، ومثّلما مارس الإمام علي بن الحسين عليه السلام دوره التبليغي رغم المرض الذي كان يعاني منه.

لقد حدد سيد الشهداء عليه السلام وأنصاره وأهل بيته تكليفنا وهو التضحية في الميدان، والتبليغ في خارجه.

فنفس القيمة التي تحملها تضحية الحسين عليه السلام عند الله (تبارك وتعالى) ونفس الدور الذي لعبته في تأجيج نهضته، تحملها - أو تقاربها - خطب الإمام السجاد عليه السلام وزینب عليها السلام أيضاً.

فتأثيرها يقرب من تأثير تضحية الحسين عليه السلام بدمه.

لقد أفهمونا أنه لا ينبغي للنساء ولا للرجال أن يخافوا في مقابل حكومة الجور، فقد وقفت زینب (سلام الله عليها) أمام يزيد - في مجلسه - وصرخت بوجهه وأهانته وأشبعته تحقيراً لم يذقه بنو أمية قاطبة طيلة حياتهم.

كما أنها عليه السلام والسجاد عليه السلام قد تحدّثا وخطّبا في الناس أثناء الطريق وفي الكوفة والشام، وما قام به الإمام السجاد عليه السلام من الخطابة وكشف الحقائق فأكّد على أن الأمر ليس مواجهة الباطل ضد الحق، وأن الأعداء قد شوهوا سمعة النهضة، وحاولوا أن يتهموا الحسين عليه السلام بالخروج على الحكومة القائمة وعلى خليفة

رسول الله!! هكذا أعلن الإمام السجاد عليه السلام الحقيقة بصرامة على رؤوس الأشهاد، وهكذا فعلت زينب عليها السلام أيضاً.

وهكذا الأمر اليوم فسيد الشهداء عليه السلام قد حدد واجبنا وعين تكليفنا، وعلمنا أن لا نخشى قلة العدد في المواجهة ولا من الاستشهاد في ميدان الحرب، فكلما عظم هدف الإنسان وسمت غايته كان عليه أن يتحمل المشاق بما يتناسب مع ذلك الهدف.

لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام - رغم قلة عدد أنصاره - بكل شيء، ووقف بوجه أمبراطورية كبرى وقال: لا.

بينما كانت شهادة سيد الشهداء عليه السلام أعظم خسارة، فإنه كان يعلم ماذا يفعل، بأي اتجاه يسير، وما هو هدفه، فقد ضحى واستشهد، وعلينا نحن أيضاً أن نعقد أملنا ونهتدي بتلك التضحيات، ولنرّ ماذا صنع سيد الشهداء عليه السلام وكيف طوى بساط الظلم ودمر بُنيانه وأزال أركانه، ثم ماذا فعلنا نحن!

عندما رأى سيد الشهداء (سلام الله عليه) حاكماً ظالماً يحكم بين الناس بالجور والظلم صرّح عليه السلام قائلاً: «أيها الناس إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

ترى هل أن دمنا أثمن وأغلى من دم سيد الشهداء عليه السلام? لماذا نخاف من أن نضحي بدمنا وأرواحنا؟ والأهم أن هذه التضحية إنما هي في سبيل دفع السلطان الجائر الذي يقول: إبني مسلم.

إن إسلام يزيد كإسلام الملك محمد رضا، وإن لم يكن أسوأ فليس بأحسن منه، ولأنه عامل الشعب بتلك المعاملة وكان امرءاً ظالماً جائراً غشوماً وأراد أن يرغم الناس على إطاعته دون مسوغ، فإن سيد الشهداء عليه السلام رأى أن عليه أن ينهض بوجه ذلك السلطان الجائر حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بحياته.

إن منهج الإمام الحسين (سلام الله عليه) وأوامره الموجهة للجميع «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء» تقضي بأن نستمر في الثورة والقيام والنهوض، امتداداً

لتلك النهضة وذلك المنهج، فالإمام الحسين عليه السلام ثار ومعه فئة قليلة العدد من الأنصار، ووقف بوجه أمبراطورية كبرى وضخّى بكل شيء من أجل الإسلام، وأكّد: أنه ينبغي أن يستمر هذا الرفض والقيام في كل زمان ومكان.

إنكم تلاحظون أن خير خلق الله في عصره سيد الشهداء (سلام الله عليه) وشبان بنى هاشم وأصحابه، استشهدوا وغادروا هذه الحياة، ولكن عندما جرى ذكرهم في مجلس يزيد أقسمت زینب (سلام الله عليها): «ما رأيت إلا جميلاً».

إن استشهاد الإنسان الكامل يعتبر في نظر أولياء الله شيئاً جميلاً، لأن الحرب والنهضة كانتا في سبيل الله - تبارك وتعالى -



موقف زينب بنت عليٰ عليها السلام من ابن زياد

ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد وأدخل عليه نساء الحسين وصبيانه فجلست زينب بنت عليٰ متنكرة فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكـم.

فقالت: إنما يفتضح الفاسق.

قال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلا جميلاً؛ هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحـاج وـخـاصـمـ.

وقيل: ولما روى ابن مرجانة أحقاده من رأس الإمام التفت إلى عائلة الحسين فرأى امرأة منحازة في ناحية من مجلسه وعليها أرذل الثياب وقد حفت بها المهابة والجلال مما حمل ابن زياد على السؤال عنها فقال:

«من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟».

فأعرضت عنه، وكرر السؤال مرتين فلم تجبه استهانـةـ بهـ وـاحتـقارـاـ لـشـائـنهـ، فـانـبرـتـ إـحدـىـ السـيدـاتـ فـقـالـتـ لـهـ:

«هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وسلم».

فالتابعـ الخـيـثـ الدـنـسـ منـ اـحـتـقـارـهـ لـهـ وـانـدـفـعـ يـظـهـرـ شـمـاتـهـ بـلـسـانـهـ الـأـلـكـنـ قـائـلاـ:

«الحمد لله الذي فضحكـمـ وقتـلـكـمـ، وأـبـطـلـ أـحـدوـثـكـمـ».

فثارـتـ حـفـيـدةـ الرـسـولـ صلوات الله عليه وسلم بشـجـاعـةـ مـحـتـقرـةـ ذـلـكـ الـوـضـرـ الـخـيـثـ وـصـاحـتـ بـهـ:

«الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ أـكـرـمـنـاـ بـنـيـهـ، وـطـهـرـنـاـ مـنـ الرـجـسـ تـطـهـيرـاـ، إـنـماـ يـفـتـضـحـ الـفـاسـقـ، وـيـكـذـبـ الـفـاجـرـ، وـهـوـ غـيـرـنـاـ يـاـ بـنـ مـرـجـانـةـ».

لقد قالت هذا القول الصارم وهي والخفرات من آل محمد ﷺ في قيد الأسر وقد نصبت فوق رؤوسهن حراب الفاتحين، وشهرت عليهن سيف الشامتين. وقد أنزلت الطاغية من عرشه إلى قبره، وأطاحت بغلوائه، وعرفته أمام خدمه وأتباعه أنه المفتش والمنهزم.. فقال ابن مرجانة مشفياً بأحظ وأحسن ما يكون التشفي:

«كيف رأيت فعل الله بأخيك؟».

وانطلقت عقبة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات الظفر والنصر لها ولأسرتها قائلة:

«ما رأيت إلا جميلاً، هولاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاً وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

وفقد الحقير اهابه من هذا التبكيت الموجع، والتعریض المقدع، وتميز غيظاً وغضباً، وهو أن ينزل بها عقوبته فنهاه عمرو بن حرث، وقال له: إنها امرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فالتفت إليها قائلاً:

«لقد شفى الله قلبي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك».

وغلب على العقبة الحزن والأسى من هذا التشفي، والجرأة عليها، وقد تذكرت الصفة الأبطال من أهل بيتها الذين سقطوا في ميادين الجهاد فأدركتها لوعة الأسى فقالت:

«لعمري لقد قتلت كهلي وأبديت أهلي، وقطعت فرعبي، واجتثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

وتهافت ابن مرجانة وسكن غيظه وراح يقول:

«هذه سجاعة. لعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً».

فردت عليه زينب ؓ: ان لي عن السجاعة لشغلاً ما للمرأة والسجاعة.



ما ألم هذه الحياة وما أخسها التي جعلت ربيبة الوحي أسيرة عند ابن مرجانة
وهو يبالغ في احتقارها وتوهينها.

إن كان عندك يا زمان بقية مما يضام به الكرام فهاته^(١)



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي : ٣ / ٢٣٠ .

موقف آخر بين زينب وابن زياد

وروي أنه لما دخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد في الكوفة دخلت زينب أخت الحسين عليه السلام في جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماوها فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية يسأل عنها، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله.

فأقبل عليها ابن زياد فقال لها: الحمد لله الذي فضحكتم وقتلتم وأكذبتم.

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً إنما يفتح الفاسق ويكتُب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله.

قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مصاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده، فغضب ابن زياد واستشاط فقال عمرو بن حرث: أيها الأمير إنها إمرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها ولا تدم على أخطائها.

قال لها ابن زياد: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك، فرفقت زينب وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعوني واجتشت أصلني فإن يشفك هذا فقد شفيت.

قال لها ابن زياد: هذه سجاعة ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً.



فقالت: ما للمرأة والسجاعة إن لي عن السجاعة لشغلاً ولكن صدري نفت لما
قلت^(١).



(١) الارشاد للمفید: ٢ / ١١٦.

أثر موافق زينب

قال الدكتور أحمد محمود صبحي: «ثم رفض - يعني الحسين - إلا أن يصاحب أهله ليشهد الناس على ما يقترفه أعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء فيفترى عليه أشد الافتراء حين يعدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه وبين أعدائه، تقول الدكتورة بنت الشاطى: أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذلة النصر، وسكتت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وإن كل الأحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة إنما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته.

أريد أن أقول ماذا يكون الحال لو قتل الحسين ومن معه جميعاً من الرجال إلا أن يسجل التاريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر أعدائه فيضيع كل أثر لقضيته مع دمه المسفوک في الصحراء...».

هذه بعض الآراء التي تدعم ما ذكرناه من أن خروج الحسين عليه السلام بعائلته لم يكن الغرض منه إلا بلورة الرأي العام، وإيضاح المقاصد الرفيعة التي ثار من أجلها ومن أهمها القضاء على دولة الأمويين التي كانت تشكل خطراً مباشراً على العقيدة الإسلامية وهناك رأي آخر أدلّى به العلامة المغفور له الشيخ عبد الواحد المظفر، وهو أن الحسين إنما خرج بعائلته خوفاً عليها من اعتقال الأمويين وزجها في سجونهم قال: «الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علينا وزجتها في ظلمات السجون، ولا بد له حينئذ من أحد أمريرين كل منهما يشنل أعضاء نهضته المقدسة!»

إما الاستسلام لأعدائه وإعطاء صفتته لهم طائعاً ليستنقذ العائلة المصونة وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته، ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحى ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تطيق احتماله نفس الحسين الغيور ولا يردع أمية رادع من الحياة، ولا يزجرها زاجر من الإسلام.

إن أمية لا يهمها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدتها، وإدراك غاياتها فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية.

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، وزوجة عبيد الله بن الحر الجعفي وأخيراً زوجة الكمي الأستدي».

وعلى أي حال فقد حطم الإمام بخروجه وعائلته جميع مخططات السياسة الأموية ونسف جميع ما أقامه معاوية من معالم الظلم، فقد قمن عقائل الوحى بدور فعال بث الوعي الاجتماعي، وتعريف المجتمع بواقع الأمويين وتجريدهم من الإطار الديني، ولو لاهن لاندرست معالم ثورة الحسين، وذهبت أدراج الرياح.

إن من ألمع الأسباب في استمرار خلود مأساة الإمام الحسين عليه السلام واستمرار فعالياتها في بث الإصلاح الاجتماعي على امتداد التاريخ هو حمل وداع الرسالة وعقائل الوحى مع الإمام فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأي العام، فحملن راية الإيمان التي حملها الإمام العظيم، ونشرن مبادئه العليا التي استشهد من أجلها، فقد انبرت حفيدة الرسول ص وشقيقة الحسين السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام إلى ساحات الجهاد، وهي تدك حصون الظالمين، وتدمير جميع ما أحرزوه من الانتصارات في قتل أخيها، وتلحق بهم الهزيمة والعار، وتملاً بيوتهم مأساة وحزناً.

لقد أقبلت قائدة المسيرة الحسينية عقبة الوحى زينب عليه السلام إلى ساحة المعركة وهي تشق صفوف الجيش تفتتح عن جثمان أخيها الإمام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها أبصار الجيش، واستحال إلى سمع فماذا تقول أمام هذه الخطوب المذهلة التي توأكبت عليها؟ إنها وقفت عليه غير مدھوشة لم تذهلها الرزايا التي تميد

منها الجبال، فشخصت ببصرها إلى السماء؟ وهي تقول بحماسة الإيمان وحرارة العقيدة قائلة:

«اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مِنَ هَذَا الْقَرْبَانَ»

وأطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموي بعد أخيها، وود الجيش أن تسيخ به الأرض فقد استبان له عظم ما اقترفه من الإثم وأنه قد أباد عناصر الإسلام، ومراكز الوعي والإيمان.

ولما اقتربت سبايا أهل البيت ﷺ إلى الكوفة خرجت الجماهير الحاشدة لاستقبال السبايا خطيبت فيهم عقبة الوحى خطاباً مثيراً ومذهلاً فإذا الناس حيari لا يعون ولا يدرؤون قد استحالت بيوتهم إلى ماتم وهم يندبون حظهم التعيس ويبيكون على ما اقترفوه من الجرم، وحينما انتهت إلى دار الإمارة استقبلها الطاغية متشفياً بأحط وأحس ما يكون التشفي قائلة:

«كيف رأيت صنع الله بأخيك؟»

وانطلقت عقبة بنى هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات النصر والظفر قائلة:

«ما رأيت إلا جميلاً هولاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة»

وأخذت هذه الكلمات ابن مرجانة فكانت أشق عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح، ولما انتهت إلى الشام هزت العرش الأموي بخطابها المثير الرائع، وحققت بذلك من النصر ما لم تتحققه الجيوش... لقد كان حمل الإمام الحسين لعائلته قائماً على أساس من الوعي العميق الذي أحرز به الفتح والنصر.

وبهذا يتنهى بنا الحديث عن بعض أسباب الثورة الحسينية ومخططاتها^(١)



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢١٠ / ٢ - ٢١٣.

شجاعة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم

وقل ما شئت في تصوير المحنـة الكـبرى التي دهـمت عـقـائل النـبـوة ﷺ في لـيـلة الحـادـي عـشـر مـن الـمـحـرمـ، فإنـك لا تـسـتـطـع تصـوـيرـها وـلا اـسـتـيـعـابـ مـأـسـاتـهاـ، فـلـم تـبـقـ رـزـيـةـ مـنـ رـزاـيـاـ الدـنـيـاـ، وـلاـ غـصـةـ مـنـ غـصـصـ الـدـهـرـ إـلـاـ جـرـتـ عـلـيـهـنـ، فـالـأـعـدـاءـ الـجـفـافـةـ الـذـيـنـ لـاـ يـمـلـكـونـ أـيـ شـرـفـ أـوـ نـبـلـ قدـ اـسـتـولـواـ عـلـيـهـنـ، وـالـحـمـاـةـ الـأـبـاـةـ مـنـ آلـ الرـسـوـلـ ﷺ قدـ تـنـاثـرـتـ أـشـلـاؤـهـمـ الزـكـيـةـ أـمـاـهـنـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـنـبـرـيـ أـحـدـ إـلـىـ مـوـارـاتـهـمـ، وـالـخـيـامـ قدـ أـحـرـقـتـ وـنـهـبـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ ثـقـلـ وـمـتـاعـ، وـسـلـبـ مـاـ عـلـيـهـنـ مـنـ حـلـيـ وـحـلـلـ وـوـصـفـ ذـلـكـ الـمـنـظـرـ الـحـزـينـ الـدـكـتوـرـ الشـيـخـ أـحـمـدـ الـوـائـلـيـ فـيـ رـائـعـتـهـ التـيـ يـقـولـ فـيـهـاـ:

وـسـجـىـ الـلـيـلـ وـالـرـجـالـ ضـحـايـاـ	وـالـنـسـاءـ الـمـخـدـرـاتـ ذـهـولـ
وـالـيـتـامـىـ تـشـرـدـ وـضـيـاعـ	
وـقـيـودـ يـئـنـ مـنـهـاـ عـلـيـلـ	وـبـقـايـاـ مـخـيـمـ مـنـ رـمـادـ
وـزـنـودـ قـسـتـ عـلـيـهـاـ سـيـاطـ	وـجـسـومـ يـضـرـيـ بـهـاـ التـمـثـيلـ

أـمـاـ حـفـيـدةـ الرـسـوـلـ ﷺ وـشـقـيقـةـ الـحـسـينـ الـعـقـيـلـةـ زـيـنـبـ ﷺ فـإـنـهـاـ مـاـ وـهـنـتـ وـلـاـ استـكـانـتـ أـمـامـ تـلـكـ الـأـهـوـالـ الـقـاصـمـةـ فـقـدـ. أـسـرـعـتـ تـلـقـطـ الـأـطـفـالـ الـذـيـنـ هـامـواـ عـلـىـ وـجـوهـهـمـ فـيـ الـبـيـداءـ، وـتـجـمـعـ الـعـيـالـ فـيـ تـلـكـ الـبـيـداءـ الـمـوـحـشـةـ، وـهـيـ تـسـلـيـهـمـ وـتـصـبـرـهـمـ عـلـىـ تـلـكـ الرـزاـيـاـ، وـقـدـ أـنـفـقـتـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ سـاهـرـةـ عـلـىـ حـرـاسـتـهـمـ، وـقـدـ هـامـتـ فـيـ تـيـارـاتـ مـنـ الـأـسـىـ لـاـ يـعـلـمـ بـمـداـهـاـ إـلـاـ اللـهـ، وـقـدـ أـدـتـ وـرـدـهـاـ مـنـ صـلـاـةـ الـلـيـلـ وـلـكـنـ استـولـىـ الـضـعـفـ عـلـيـهـاـ فـأـدـتـهـاـ مـنـ جـلوـسـ^(١).



(١) حـيـاةـ الـإـمـامـ الـحـسـينـ لـلـقـرـشـيـ : ٢١٠ / ٣.

زينب عند حرق الخيام

قال: ثم أخرجوا النساء من الخيمة، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات، يمشين سباياً في أسر الذلة، وقلن بحق الله إلا ما مررت بم على مصرع الحسين، فلما نظرت النسوة إلى القتل، صحن وضربن وجههن قال: فوالله لا أنسى زينب بنت علي عليه السلام وهي تندب الحسين وتناادي بصوت حزين وقلب كثيب: وامحمداء صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى وإلى حمزة سيد الشهداء، وامحمداء هذا حسين بالعراء، يسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، يا حزناه يا كربلاه، اليوم مات جدي رسول الله، يا أصحاب محمداء، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا.

وفي بعض الروايات: قالت عليه السلام: يا محمداء بناتك سبايا، وذرتك مقتلة، تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسين مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من عسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فساطته مقطع العرى، بأبي من لا هو غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شبيته تقطر بالدماء، بأبي من جده رسول إله السماء، بأبي من هو سبطنبي الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى بأبي علي المرتضى، بأبي فاطمة الزهراء سيدة النساء، بأبي من ردت عليه الشمس حتى صلي.

قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.



ثم إن سكينة اعتنقت جسد الحسين عليه السلام، فاجتمع عدة من الاعراب حتى
جروها عنه ^(١).

سلام الله عليك يا زينب أي صبر كنت تحلين به وأي قلب كان لديك؟!



(١) كتاب الملهوف ص ١٢١ - ١١٢.

بين زينب وعمر بن سعد

روى الطبرى بسنده، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لا بشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فاجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل، فإذا برأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثيتيه ساعة فلما رأه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعمل بهذا القضيب عن هاتين الثنتين فوالذي لا اله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضح الشيخ يبكي فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنك.

قال: فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولًا لو سمعه ابن زياد لقتله قال: فقلت: ما قال؟

قالوا: مر بنا وهو يقول، ملك عبد عبدا فاتخذهم تلدا أنت يا معاشر العرب العبيد بعد اليوم قتلت ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدها لمن رضي بالذل.

قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إماؤها، فلما دخلت جلست فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة، فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض إماؤها: هذه زينب ابنة فاطمة.

قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلتم وأكذب أحدوثكم فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت إنما يفتضح الفاسق ويكتذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك.

قالت كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم
فتحاجون إليه وتخاصمون عنده.

قال فغصب ابن زياد واستشاط قال: فقال له عمرو بن حرث: أصلح الله
الأمير إنما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام
على خطل ، فقال لها ابن زياد: قد أشفى نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل
ستك !

قال: فبكت، ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي،
واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا، فقد اشتفيت، فقال لها عبيد الله: هذه سجاعه! قد
لعمري كان أبوك شاعراً سجاعاً!

قالت: ما للمرأة والسجاعة ان لي عن السجاعة^(١) لشغلا ولكنني نفسي ما أقول.
وروى عن حميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي
ابن الحسين.

فقال له: ما اسمك قال: أنا علي بن الحسين قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟

قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً على فقتلته الناس قال: إن الله قد قتله.

قال: فسكت علي فقال له: مالك لا تتكلّم؟ قال: الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله.

قال: أنت والله منهم (ويحك انظروا هل أدرك والله أني لأحسبه رجالاً)^(٢)
فقال: اقتلوه.

(١) السجع : الكلام المقصى أو موالاة الكلام على روى واحد وقد يطلق السجع على الكلام المسجع وسجع الخطيب سجعا نطق بكلام له فواصل فهو سجاع وسجاعة بتشديد الجيم وهذا ما أراده ابن زياد في قوله وأجابته زينب بأن لها ما يشغلها عن سجع الكلام وما ورد في النسخة (الشجاع والشجاعة) تحريف.

(٢) ان علي بن الحسين السجاد كان قد ولد له محمد الباقر عليه السلام يومذاك، ومع هذا لا يستقيم هذا القول وهذه الجملة زيادة في الرواية لم ترد ضمن رواية الطبرسي في إعلام الورى.

قال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النساء؟ وتعلقت به زينب عمته عليها السلام
 فقالت: يا ابن زياد حسبك منا أما رویت من دمائنا وهل أبقيت منا أحداً.
 قال: فاعتنقته فقالت: أسلك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته لما قتلتني معه قال:
 وناداه علي فقال: يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً
 يصحبهن بصحة الإسلام.

قال: فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم والله إني لأظنها
 ودت لو أنني قتلتة^(١) معه، دعوا الغلام انتطلق مع نسائك.

وقال حميد بن مسلم: لما دخل عبد الله القصر ودخل الناس نوادي الصلة
 جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله
 الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب
 الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف
 الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بنى والبة وكان من شيعة علي كرم الله وجهه وكانت عينه
 اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة
 وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم
 يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا بن مرجانة إن
 الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوبه! يا بن مرجانة! أنت قتلون أبناء
 النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: علي به.

قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه قال: فنادي بشعار الأزد يا مبرورا!

قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس، فقال: ويع غيرك! أهلكت
 نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل.

قال فوثب إليه فتية من الأزد، فانتزعوه فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به
 قتله، فأمر بصلبه في السبخة فصلب هناك^(٢).



(١) في نسخة: أني قتلتها.

(٢) معالم المدرستين للعسكري: ١٥١/٣.

الخطاب التاريخي لزينب عليها السلام

وحينما رأت السيدة زينب عليها السلام حفيدة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وشقيقة الإمام الحشود الراخراخة التي ملأت شوارع الكوفة وأزقتها، اندفعت إلى الخطابة لبلورة الموقف، وإظهار المصيبة الكبرى التي جرت على أهل البيت وتحميل الكوافيين مسؤولية هذه الجريمة النكراء، فهم الذين نقضوا العهد، وخاسوا بالذمة، فقتلوا ريحانة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ثم عادوا بعد قتلها ينحوون ويبيكون كأنهم لم يقترفوا هذا الإثم العظيم، وهذا نص خطابها :

«الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلى آله الطاهرين الآخيار، أما بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون؟! فلا رقات لكم دمعة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم إلا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟! أي والله فابكونوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، كل ذلك بانتهاكم حرمة ابن خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حضرتكم، ومفرع نازلتكم، ومنار حجتكم ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم، وسحقاً، فلقد خاب السعي، ونبت الأيدي وخسرت الصفة وتوليت بغضب الله، وضررت عليكم الذلة والمسكنة.

أتدرون ويلكم يا أهل الكوفة؟ أي كبد لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فريتم وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جثتم شيئاً أداً تقاد السماوات يتفترن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً!

لقد جثتم بها خرقاء شوهاء كطلع الأرض، ومل السماء، أفعجتكم ان مطرت

السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى، وهم لا ينصرؤن فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثار وان ربكم لبالمرصاد...».

لقد قرعتهم بطلة كربلاء، بمنطق الصدق وصوت الحق، ودلتهم على نفوسهم الخبيثة، فلم تنخدع بدموعهم الكاذبة، ولم ينطل عليها زورهم وبهتانهم، ونعت عليهم جريمتهم النكراء التي هي أبغض جريمة وقعت في الأرض.. وقد وصفتهم بأحسن الصفات التي توصف بها أحط الشعوب، فقد وصفتهم بالختل والغدر، وهما مصدران لأنحطاط الإنسان وشقاوته.

وعلقت سلام الله عليها على بكائهم فقالت: إن من حقهم أن يبكون كثيراً ويضحكون قليلاً على عظيم ما اقترفوه من الإثم، فقد قتلوا سيد شباب أهل الجنة وسليل خاتم النبوة، والمنقذ والمحرر لهم، وفروا كبد رسول الله ﷺ وانتهكوا حرمته، وسبوا عياله، فأي جريمة أبغض أو أفظع من هذه الجريمة؟^(١)

قال بشير بن حذيم الأستدي: نظرت إلى زينب بنت علي يومئذ - ولم أر خفراً قط أنطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض وتفرغ عنه - وأومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، فقالت: «الحمد لله والصلوة على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطيبين الأخيار آل الله، وبعد! يا أهل الكوفة! ويا أهل الخلل، والخذل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقات الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثاً».

أتخذون أيمانكم دخلاً بينكم؟ ألا وهل فيكم إلا الصلف، والطفن، والشنف^(٢) وملق الإماماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصة^(٣) على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتتحجرون إيه والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبت بعارها

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي : ٢٢٧ / ٣.

(٢) الأول الوقاحة والثاني فساد الأخلاق والثالث الكراهة.

(٣) وهي الجص.

وشنارها، ولن تر حضوها بغسل بعدها أبداً وأنى تر حضون قتل سليل خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم ومدره^(١) ألسنتكم ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفة وبؤتم بغضب من الله، وضررت عليكم الذلة والمسكينة، ويلكم يا أهل الكوفة.

أتدرؤن أي كبد لرسول الله فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أبرزتم وأي حريم له أصبتتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إذا تقاد السماوات يتفترن منه، وتنشق الأرض منه، وتخر الجبال هدا، إن ما جئتم بها لصلعاء، وعنقاء سوءاً فقماه خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض وملاء السماء.

أفعجبتم أن قطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أشد وأخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلا ان ربكم لبالمرصاد.

قال بشير: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون ويتفحجون ويتأسفون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم.

قال: ونظرت إلى شيخ من أهل الكوفة كان واقفاً إلى جنبي، قد بكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وهو يقول: صدقت بأبي وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبانكم خير الشبان ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزي^(٢).



(١) كمنبر، المقدم من اللسان.

(٢) تاريخ ابن أعثم ٥/٢٢١ - ٢٢٦، ومقتل الخوارزمي ٢/٤٠ - ٤٢.

ولا يبزي: لا يقهر.



صدى الخطاب

قال السيد القرشي : واضطرب الناس من خطاب سليلة النبوة وأيقنوا بالهلاك ، وقد وصف خزيمة الأسدى مدى الأثر البالغ الذى أحدثه خطاب العقيلة يقول : لم أر والله خفراً أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان الإمام أمير المؤمنين ، ورأيت الناس بعد خطابها حيارى واضعى أيديهم على أفواههم ، ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول : بأبي أنت وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً إلا أن الإمام زين العابدين قطع على عنته خطابها قائلاً :

«اسكتني يا عمة ، فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة ..».

فامسكت عن الكلام ، وتركت المجتمع يمور بالأسى والحزن^(١) .



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي : ٣ / ٢٢٧.

موقف تارخي لحفيدة رسول الله في مجلس يزيد

في مثير الأحزان واللھوف بعده^(١): فقامت زینب بنت علی بن أبي طالب، فقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلی الله على رسوله وآلہ أجمعین، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُرَّ كَانَ عَيْقَةً الَّذِينَ أَسْتَوْا السُّوَائِيْنَ كَذَّبُوا إِيمَانَ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُوْنَ﴾.

أظنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأساري أن بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسة، والأمور متسبة، وحين صفا لك ملکنا وسلطانا فمهلا مهلا، أنسى قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَدَادُوا إِثْمًا وَلَمْنَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتك ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاكل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولی، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فو؟ أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشفف والشنان، والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظام :

(١) مثير الأحزان ص ٨٠ واللھوف ص ٧٠.

لأهلوا واستهلو فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشنل
 منحنيا على ثنابا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخرستك وكيف لا
 تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشففة، بإراقتك دماء ذرية محمد
 ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتزدن
 وشيكا موردهم ولتزدن أنك شللت ويكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم من ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا،
 وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، ولتزدن على رسول الله
 بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع
 الله شملهم، ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم، ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
 ﴿بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبريل
 ظهيراً، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم
 شر مكاناً واضعف جنداً، ولشن جرث علي الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك
 واستعظم تكريعك، واستكثر توبيخك، ولكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء،
 فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر
 الزواكي تنتابها العوائل، وتعفرها أمهات الفراعل ولشن اتخذنا مغنا، لتجدنا وشيكا
 مغرياً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلم للعبيد، والى الله المشتكى
 وعليه المعول.

فくだ كيدك، واسع سعيك، وناصب جهتك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت
 وحياناً، ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعتك إلا
 بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويسعد علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسيناً ونعم الوكيل».

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح^(١)
وقال القرشي: وأظهر الطاغية فرحة بإيادته للعترة الطاهرة، فقد حسب أنه قد صفا له الملك واستوستقت له الأمور فأخذ يهز أعطافه جذلاناً مسروراً، وتمنى حضور القتلى من أهل بيته بيد ليريهم كيف أخذ بثارهم وانتقم من النبي ﷺ في ذريته وعترته وراح يترنم بأبيات ابن الزبوري وهو مزهو:

لَيْتْ أَشْبَاخِي بِبَدْرِ شَهْدَوَا	جُزِّعَ الْخَزْرَاجَ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
لَأَهْلَوَا وَاسْتَهْلَوَا فَرْحَأَا	ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدَ لَا تَشْلِ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ مِنْ سَادَاتِهِمْ	وَعَدَلَنَاهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ
لَعْبَتْ هَاشِمَ بِالْمَلْكِ فَلَا	خَبَرَ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ
لَسْتُ مِنْ خَنْدَفٍ إِنْ لَمْ انتَقِمْ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ

ولما سمعت بطلة كربلاء هذه الأبيات التي نمت عن كفره وسروره بقتل عترة النبي ﷺ انتقاماً منهم لقتلي بدر وثبت تزجره، وتطعن كبرياءه، غير حافلة بعباراته وطغيانه، فلم يدركها الهول والفزع، وإنما كانت مثال الشجاعة فكانها هي الحاكمة والمنتصرة، والطاغية هو المخدول والمغلوب على أمره، قالت عليها السلام:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وأله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيقَةً الَّذِينَ أَسْتَوْا السُّوَائِنَ أَنْ كَيْذُبُوا بِيَقِنِّتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهِزُؤُنَ﴾^(٢) أظنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا

(١) انظر معالم المدرستين للعسكري: ١٦٢/٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٠.

نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسة والأمور متسبة وحين صفا لك ملکنا وسلطانا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، أنسنت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمِلُّ لَهُمْ حَيْزٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمِلُّ لَهُمْ لِيَرَدُّوْا إِشْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(١).

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتك ستورهن وأبديت وجههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاكل ويتصفح وجههن القريب والبعيد، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولبي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والاضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

**لأهلو وأستهلو فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشن
منحنيناً على ثانيا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخضرتك وكيف لا
تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة بإراقتك دماء ذرية محمد
ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتعدن
وشيكاً موردهم ولتوعد أنك شللت ويكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت
اللهُمَّ خذلنا بحقنا، وانتقم من ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.**

**فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله
بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع
الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقوقهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَ
أَهْيَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).**

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبحرثيل ظهيراً، وسيعلم من سول لك

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

ومكنت من رقاب المسلمين، بنس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً.
ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك أني لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريرك،
وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدر حرى فالعجب كل العجب !! لقتل
حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنظف من دمائنا والأفواه
تحلبهن من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العوازل وتعفرها أمهات
الفراعل ولئن اتخذنا مغنمأً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك
وما ربك بظلم للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعمول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت
وحينا ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا
bdd، يوم ينادي المنادي إلا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة والآخرنا بالشهادة
والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الشواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا
الخلافة إنه رحيم ودود، وحسينا الله ونعم الوكيل».

وهذا الخطاب أروع خطاب أثر في الإسلام، وهو من متممات النهضة الحسينية
الخالدة، فقد دمرت فيه حفيدة الرسول ﷺ جبروت الطاغية، وألحقت به الهزيمة
والعار، وعرفته أن دعوة الحق لا تنحنى جباههم أمام الطغاة والظالمين، يقول الإمام
كاشف الغطاء:

«أستطيع ريشة أعظم مصور وأبدع ممثل أن يمثل لك حال يزيد وشموخه بأنه
وزهوه بعطفه وسروره وجذله باتساق الأمور، وانتظام الملك ولذة الفتح والظفر
والتشفي والانتقام - بأحسن من ذلك التصوير والتمثيل - وهل في القدرة والإمكان
لأحد أن يدفع خصميه بالحججة والبيان والتقرير والتأنيب .. ويبلغ ما بلغته سلام الله
عليها بتلك الكلمات وهي على الحال الذي عرفت ثم لم تقنع منه بذلك حتى أرادت
أن تمثل له وللحاضرين عنده ذلة الباطل وعزوة الحق وعدم الاكترااث والمبalaة بالقوة



والسلطة، والهيبة والرعب، أرادت أن تعرفه خسارة قدره، وضعة مقداره وشناعة فعله، ولئن فرعه وأصله».

ويقول المرحوم الفكيكي :

«تأمل معي في هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة، وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان، وبين معاني الحماسة وقوة الاحتجاج وحججة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة، بصرامة هي أنفذ من السيوف إلى أعماق القلوب، وأحد من وقع الأسنة في الحشا والمهج في مواطن القتال ومجالات النزال، وكان الوثوب على أنياب الأفاعي وركوب أطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ الذي صرخت به ريبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بنى أمية وفراعتهم في منازل عزهم ومجالس دولتهم الهرقلية الارستقراطية الكريهة».

ثم إن هذه الخطبة التاريخية الصاعقة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النادرة، وقد احتوت النفس القوية الحساسة الشاعرة بالمثلية الأخلاقية الرفيعة السامية، وسيبقى هذا الأدب الحي صارخاً في وجوه الطغاة الظالمين على مدى الدهر وتعاقب الأجيال وفي كل ذكرى لواقعه الطف الدامية المفجعة»





محتويات الخطاب

قال السيد القرشي : وكان هذا الخطاب العظيم امتداداً لثورة كربلاء وتجسيداً رائعاً لقيمها الكريمة وأهدافها السامية وقد حفل بما يلي :

أولاً : إنها دللت على غرور الطاغية وطبيشه ، فقد حسب أنه هو المنتصر بما يملك من القوى العسكرية التي ملأت البيداء وسدت آفاق السماء ، إلا أنه انتصار مؤقت ، ومن طبيشه أنه حسب أن ما أحرزه من الانتصار كان لكرامة له عند الله وهو ان لأهل البيت ، ولم يعلم أن الله إنما يملأ للكافرين في هذه الدنيا من النعم ليزدادوا إثماً ولهم في الآخرة عذاب أليم.

ثانياً : إنها نعت عليه سبيه لعقاتل الوحي ، فلم يرع قرابة رسول الله فيهم وهو الذي من على آبائه يوم فتح مكة فكان أبوه وجده من الطلقاء فلم يشكر للنبي هذه اليد وكفاؤه بأسوأ ما تكون المكافأة.

ثالثاً : إن ما اقترفه الطاغية من سفكه لدماء العترة الطاهرة فإنّه مدفوع بذلك بحكم نشأته ومواريثه فجدره هند هي التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة وجده أبو سفيان العدو الأول للإسلام ، وأبوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين وانتهك جميع ما حرم الله ، فاقتراف الجرائم من عناصره وطبعه التي فطر عليها.

رابعاً : إنها أنكرت عليه ما تمثل به من الشعر الذي تمنى فيه حضور أشياخه الأمويين ليروا كيف أخذ بثارهم من النبي ﷺ بإبادة أبنائه إلا أنه سوف يرد موردهم من الخلود في نار جهنم.

خامساً : إن الطاغية بسفكه لدماء العترة الطاهرة لم يسفك إلا دمه ولم يفر إلا

جلده، فإن تلك النفوس الزكية حية وخلدة وقد تلفعت بالكرامة وبلغت قمة الشرف، وإنه هو الذي باء بالخزي والخسران.

سادساً: أنها عرضت إلى من مكن الطاغية من رقاب المسلمين فهو المسؤول عما اقترفه من الجرائم، وقد قصدت عليها السلام مغزى بعيداً يفهمه كل من تأمل فيه.

سابعاً: أنها أظهرت سمو مكانتها فكلمت الطاغية كلام الأمير والحاكم فاستهانت به، واستصغرت قدره، وتعالت عن حواره، وترفعت عن مخاطبته، ولم تحفل بسلطانه.. لقد كانت العقيقة على ضعفها وما ألم بها من المصائب أعظم قوة وأشد بأساً منه.

ثامناً: أنها عرضت إلى أن يزيد مهما بذل من جهد لمحو ذكر أهل البيت ﷺ فإنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً لأنهم قائمون في قلوب المسلمين وعواطفهم وهم مع الحق، والحق لا بد أن يتصر، وفعلاً قد انتصر الحسين وتحولت مأساته إلى مجده لا يبلغه أي إنسان كان، فأي نصر أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من النصر الذي أحرزه الإمام.

هذا قليل من كثير مما جاء في هذه الخطبة التي هي آية من آيات البلاغة والفصاحة، ومعجزة من معجزات البيان، وهي إحدى الضربات القاضية على ملك بنى أمية.





جواب يزيد

وكان خطاب العقيلة كالصاعقة على رأس يزيد فقد انهار غروره وتحطم
كبرياؤه، وحار في الجواب فلم يستطع أن يقول شيئاً إلا أنه تمثل بقول الشاعر:
يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح
ولم تكن آية مناسبة بين ذلك الخطاب العظيم الذي أبرزت فيه عقيلة الوحي
واقع يزيد، وجردته من جميع القيم الإنسانية، وبين ما تمثل به من الشعر الذي أعلن
فيه أن الصيحة تحمد من الصوائح، وإن النوح يهون على النائحتين، فأي ربط
موضوعي بين الأمرين.



صدى خطاب زينب

وأحدث خطاب العقيلة موجة عاصفة في مجلس يزيد وأشاعت في نفوس galloping مشاعر الحزن والأسى والتذمر فقد أزاح عنهم حجب الشبهات ونسف كل الوسائل التي صنعتها معاوية لإقامة دولته وسلطانه وراح يزيد يلتمس المعاذير ليبرر جريمته فقال لأهل الشام:

«أندرون من أين أتى ابن فاطمة؟ وما الحامل له على ما فعل؟ وما الذي أوقعه فيما وقع؟».
«لا».

«يُزعم أن أباه خير من أبي وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمي وأنه خير مني، وأحق بهذا الأمر، فأما قوله أبوه خير من أبي: فقد حاج أبي أباه إلى الله تعالى، وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله أمه خير من أمي: فلعمري إن فاطمة بنت رسول الله خير من أمي، وأما قوله جده خير من جدي: فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى أن لرسول الله ﷺ فيما عدلاً ولا ندأ.. ولكن إِنَّمَا أَتَى مِنْ قَلْةٍ فَقَهْهُ، وَلَمْ يَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: «قُلْ أَللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ شَاءَ وَتُعِزُّ مَنْ شَاءَ وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ» وقوله تعالى: «وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ شَاءَ» لَقَدْ حَسِبَ الطاغية أَنْ مَنْطَقَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ الظُّفْرُ بِالْمُلْكِ فَرَاحَ يَبْنِي تَفْوِيْهَهُ عَلَى الْإِمَامِ بِذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا قِيمَةَ لِلْمُلْكِ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّمَا يَهْبِهُ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢٦٢/٣

موقف مشرف لزينب عند يزيد

روى الطبرى عن فاطمة بنت الحسين انها قالت: إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه - أتخذها أمة -^(١) يعنيني و كنت جارية وضيئه فأرعدت، وفرقت وظننت ان ذلك جائز لهم وأخذت بثياب عمتي^(٢) زينب رض.

قالت: وكانت عمتي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقالت رض: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال: كذبت والله ان ذلك لي ولو شئت إن أفعله لفعلت.

قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب رض: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك.

قال: كذبت يا عدوة الله.

قالت رض: أنت أمير سلطنت شتم ظالماً وتقهر بسلطانك.

(١) ما بين الخطين في مقاتل الطالبيين ص ١٢٠.

(٢) في الأصل أخي محرف.



قالت: فوالله لكانه استحبني فسكت.

ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أعزب وهب الله لك حتفا قاضياً^(١).



(١) تاريخ الطبرى. ط/ أروبا، ٢/٣٧٩.

خطبة زينب عليها السلام برواية البحار

قال السيد وغيره: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عِقْبَةً الَّذِينَ أَسْتَوْا السُّوَائَةَ أَنْ كَذَّبُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا إِلَيْهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أظنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأساري أنينا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمختك بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً^(١)، حين رأيت الدنيا لك مستوسة والأمور متسبة، وحين صفالك ملكنا وسلطاناً، مهلاً مهلاً أنسى قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا نُنَلِّي لَهُمْ حَيْثُ لَا يَفْسِمُونَ إِنَّمَا نُنَلِّي لَهُمْ لِيَرَدُوا إِلَيْنَا وَلَمْ يَعْلَمُوا مُهِمَّهُنَّ﴾^(٢).

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمامتك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتك ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن^(٣) الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل^(٤)، ويتصفج وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولهم، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل

(١) شمخ الرجل بأنفه تكبر، وعطفا الرجل بالكسر جانباه، والنظر في العطف كناية عن الخيلاء، والجدل بالتحريك الفرح، وقد جدل بالكسر يجذل فهو جذلان.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٣) قولهما يَحْدُدُ وَيَهْنَ: «يحدد ويهن» أي يسوقهن سوقاً شديداً.

(٤) استشرف الشيء: رفع بصره ينظر إليه، والمنقل: الطريق في الجبل، والمنقلة المرحلة من مراحل السفر.

البيت من نظر إلينا بالشفف والشنان، والاحن، والاضغان؟^(١)

ثم تقول غير متأمّل ولا مستعظّم:

وأهلوها واستهلهلا فرحا ثم قالوا يا يزيد لاتش

متحيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخضرتك وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة واستأصلت الشابة^(٢)، بإراقتك دماء ذرية محمد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم، ولتوعدن أنك شلتت ويكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت «اللهم خذل علينا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا».

فوالله ما فريت إلا جلتك، ولا جزت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم، ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياه عندربهم يرزقون، حسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً وبجرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوى لك ومكنتك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقييعك وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى^(٣).

(١) قولها «وكيف يستبطئ في بغضنا» أي لا يطلب منه الأبطاء والتأخير في البغض والشنف بالتحريك البعض والتنكر، والاحن بكسر الهمزة، وفتح الحاء جمع الاحنة بالكسر وهي الحقد، والانتحاء الاعتماد والميل، وانتهيت لفلان أي عرضت له وأنهيت على حلقة السكين أي عرضت، ونكات القرحة قشرتها.

(٢) قال الفيروزآبادي: الشافعية قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب وإذا قطعت مات صاحبها، والأصل، واستأصل الله شافته أذبه كما تذهب تلك القرحة أو معناه أزاله من أصله انتهى، ويقال خرج وشيكا أي سريعا، والفرى: القطع.

(٣) قولها: «ولشن جرت علي الدواهي مخاطبتك» يحتمل أن يكون مخاطبتك مرفوعاً بالفاعلية أي إن أوقعت على مخاطبتك البلايا، فلا ابالي ولا عظم قدرك أو يكون منصوباً بالمفعولية أي إن أوقعتني دواهي الزمان إلى حال احتجت إلى مخاطبتك فلست معظمة لقدرك.

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الحث الطواهر الزواكي تنتابها العوائل وتعفوها أمهات الفراعل^(١)، ولئن اتخذتنا مغنمًا لتجدنا وشيكا مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت وما ربك بظلم للعبيدين، فالى الله المشتكى، وعليه المعمول، فككيدك واسع سعيك، وناصب جهلك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيينا، ولا تدرك أمننا، ولا ترخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد^(٢)، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الشواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم وودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النواوح
قال: ثم استشار أهل الشام فيما يصنع بهم.
قالوا: لا تتخذ من كلب سوء جروا.

قال له النعمان بن بشير: انظر ما كان الرسول يصنع بهم فاصنع بهم^(٣).



(١) قولها: «تنطف» بكسر الطاء وضمها أي تقطر، وقال الفيروزآبادي: تحلب عينه وفوه أي سالاً، والعوائل الذئاب السريعة العدو، قولها: «وتعفوها أمهات الفراعل» من قولهم عفت الريح المتنزل أي درسته، أو من قولهم فلان تعفوه الأضيف أي تأتيه كثيراً وفي بعض النسخ تعفرها أي تلطخها بالتراب عند الاكل، وفي بعضها بالقاف من العقر بمعنى الجرح، ومنه كلب عقور، والفراعل بالضم ولد الضبع.
وفي رواية السيد أمهات الفراعل، وهو أظهر.

(٢) الفند بالتحريك الكذب وضعف الرأي.

(٣) الملھوف ص ١٦١ - ١٦٦، والبحار: ٤٥ / ١٣٥.

خطبة زينب بسند ولفظ ابن أبي الحديد

قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين، وقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على جدي سيد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيقَةً الَّذِينَ أَسْتَوْلَوا الشَّوَّأَةَ أَنْ كَذَّبُوا بِعِيَاتِنِي اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١) أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقنا علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إسار، نساق إليك سوقا في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أن بنامن الله هوانا وعليك منه كرامة وامتنانا؟ وأن ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمتت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحا، وتنفس مدر ويك مرحبا، حين رأيت الدنيا لك مستوسة، والامور لديك متسبة، وحين صفي لك ملكتنا، وخلص لك سلطانا، فمهلا مهلا لا تطش جهلا أنسنت قول الله: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا نُحْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّا نُحْلِي لَهُمْ لَيْزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِمِّهِنَّ﴾^(٢).

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائقك، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟

قد هتك ستورهن، وأبديت وجههن، يحدوين الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناقل، ويزرن لأهل المناهل، ويتصفح وجههن القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدني والرفيع، ليس معهن من رجالهن ولبي، ولا من حماتهن حميم، عتوا منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعا لما جاء به من عند الله ولا غرو منك، ولا عجب من فعلك، وأنى يرجى (مراقبة) من لفظ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.



فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله ﷺ أشد العرب الله جحوداً، وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواً، وأعطاهم على الرب كفراً وطغياناً إلا إنها نتيجة خلال الكفر، وضب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر فلا يستبطئ في بغضاً أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وشناناً وأحنا وضغنا يظهر كفره برسوله، ويُفصح ذلك بلسانه، وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسببي ذريته غير متحوب ولا مستعظم :

لأهلوا واستهملوا فرحاً ولقالوا يا: يزيد لاتسل

منتحياً على ثانياً أبي عبد الله، وكان مقبل رسول الله ﷺ ينكتها بمخصرته قد التمع السرور بوجهه لعمري لقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة، باراقت دم سيد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب العرب، وشمس آل عبدالمطلب، وهتفت بأشياخك وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلفك، ثم صرخت بندائك ولعمري قد ناديتهم لو شهدوك ووشيكاً تشهدهم ويشهدوك^(١) ولو تؤدي مينك كما زعمت شلت بك من مرافقها وأحبيت أمك لم تحملك، وأباك لم يلدهك، حين تصير إلى سخط الله، ومخاصمك (ومخاصم أميك) رسول الله ﷺ.

اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، ونقص ذمامنا، وقتل حماتنا، وهتك عننا سدولنا وفعلت فعلتك التي فعلت، وما فررت إلا جلدك، وما جزرت إلا لحمك، وسترد على رسول الله بما تحملت من ذريته، وانتهكت من حرمتها، وسفكت من دماء عترتها ولحمتها، حيث يجمع به شملهم، ويلم به شعثهم، ويتنقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم، ولا يستفزنك الفرح بقتله ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فَرِحَيْنَ يَمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

(١) في الأصل وهكذا المصدر «وان يشهدوك» وهو تصحيف.

(٢) سورة آل عمران، الآياتان: ١٦٩ - ١٧٠.

وحسبك بالله ولیاً وحاکماً، وبرسول الله خصیماً، وبجبرئیل ظهیراً، وسيعلم من بوأك ومکنك من رقاب المسلمين (أن) بش لظلالمین بدلاً، وأنکم شر مكاناً وأضل سبیلاً، وما استصغری قدرک، ولا استعظامی تقریعک، توھماً لانتجاج الخطاب فيک، بعد أن تركت عيون المسلمين به عبری، وصدورهم عند ذکره حری، فتلك قلوب قاسیة، ونفوس طاغیة، وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول قدعشش فيه الشیطان وفرخ، ومن هناك مثلك مادرج ونهض.

فالعجب كل العجب لقتل الاتقیاء، وأسباط الأنبياء، وسلیل الأوصیاء بأيدي الطلقاء الخبیثة، ونسل العهرة الفجرة، تنطف أکفهم من دمائنا، وتتحلب أفواههم من لحومنا، وللجهث الزاکیة على الجبوب الضاحیة، تتابها العواسل، وتعفرها الفراعل، فلئن اتخذتنا مغنمًا لتتخدنا وشیکاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداک، وما الله بظلم للعیید، وإلى الله المشتكى، والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل ثم كدکیدك، واجهد جهڈک، فو الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتجاح، لا تدرك أمننا، ولا تبلغ غایتنا، ولا تمحو ذکرنا، ولا ترھض عنک عارنا، وهل رأیک إلafند، وأیامک إلا عدد، وجمعک إلا بدد، يوم ينادي المنادی ألا لعن الظالم العادی والحمد لله الذي حکم لأولیائه بالسعادة وختم لأوصیائے ببلوغ الارادة، نقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرک، ولا ابتلي بهم سواك، ونسأله أن يکمل لهم الأجر، ويجزل لهم الشواب والذخر، ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنه رحیم ودود.

فقال یزید مجیباً لها شعراً:

يا صیخة تحمد من صوائح ما أھون الموت على النوائح
ثم أمر بردهم^(۱).

بيان: قال الجزری: في حديث الحسن يضرب أسلوبیه أی عطفیه ومنکبیه

(۱) الاحتجاج: ۱۵۷ - ۱۵۹.

يضرب بيده عليهما ، وروي بالزاء والصاد بدل السين بمعنى واحد وهذه الاحرف الثلاثة تتعاقب مع الدال ، وقال في باب الصاد في حديث الحسن: يضرب أصدريه أي منكبيه وقال في باب الميم والذال في حديث الحسن: ما تشاء أن ترى أحدهم ينفض مذرويه ، المذر وان جانباً الأليتين ولا واحد لهما ، وقيل هما طرفاً كل شيء وأراد بهما الحسن فرعاً المنكبين ، يقال: جاء فلان ينفض مذرويه ، إذا جاء باعياً يتهدد ، وكذلك إذا جاء فارغاً في غير شغل ، والميم زائدة.

وقال الفيروز آبادي: الأصدران عرقان تحت الصدغين ، وجاء يضرب أصدريه أي فارغاً ، وقال في المذريين: بكسر الميم نحوأ مما مر ويقال: «لا غرو» أي ليس بعجب ، والضب الحقد الكامن في الصدر ، وفي بعض النسخ مكان «شنفا وشنانا» «سيفا وشنانا» ، وفلان يتحوب من كذا أي يتأنم والتحبب أيضاً التوجع والحزن ، والسديل ما اسبل على الهدوج ، والجمع السدول.

قولها فَتَلَكَ إشارة إلى أعوانه وأنصاره وفي بعض النسخ: قblk بكسر القاف وفتح الباء أي عندك أو بفتح القاف وسكون الباء إشارة إلى آبائه لعنهم الله.

قولها: «ما درج» الكلمة ما زائدة كما في قوله تعالى: فيما رحمة من الله. أي بإعانة هؤلاء درجت ومشيت وقمت، أو في حجور هؤلاء الاشقياء ربيت، ومنهم تفرعت، والجبوب بضم الجيم والباء الأرض الغليظة، ويقال: وجه الأرض وفي بعض النسخ بالنون فعلى الأول الضاحية من قولهم مكان صاح أي بارز، وعلى الثاني من قولهم ضحيت للشمس أي برزت وإنما أوردت بعض الروايات مكرراً لكترة اختلافها^(١).



كرم زينب وحفظها للجميل

قال السيد القرشي : وشكراً للعلويات رئيس الحرس الذي قام برعايتها من دمشق إلى يثرب فقد قام لهن بخدمات جليلة تقضي مكافأته فقالت فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين لأختها زينب عليها السلام .

«لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟»

«والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا».

«نعم هو ما تقولين».

وأخرجتا سوارين ودمجين لهما ، وبعثتا بهما إليه ، واعتذرنا في أدب ، وتأثر الرجل من هذا الكرم الغامر وهو يعلم ما هن فيه من ضيق شديد ، فرده إليهما وقال باحترام :

«لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني ، ولكن والله ما فعلته إلا
للله ولقرباتكم من رسول الله ص ^(١) .»

روى الطبراني بسنده عن الحارث بن كعب ، قال : قالت لي فاطمة بنت علي :
قلت لأختي زينب عليها السلام : يا أخي لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل
لك أن نصله ؟

فقالت : والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا قالت لها : فنعطيه حلينا .

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي : ٢٩٢/٣ .



قالت: فأخذت سواري ودمليجي وأخذت أخي سوارها ودملجهما فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل.

قال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونه ولكن والله ما فعلته إلا الله ولقربتكم من رسول الله ﷺ .^(١)



(١) تاريخ الطبرى. ط/ أروبا، ٢٣٧٩/٢.

موقف زينب عند مقتل عبد الله بن الحسن

قال أبو مخنف: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجال نحو الحسين فأخذ الحسين يشد عليهم، فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به احاطة، وأقبل إلى الحسين^(١) غلام من أهله فأخذته اخته زينب ابنة علي لتجبيه، فقال لها الحسين: أحبسيه، فأبى الغلام وجاء يشتد إلى الحسين فقام إلى جنبه.

قال: وقد أهوى بحر بن كعب ابن عبيد الله منبني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا بن الخبيثة أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف فاتقه الغلام بيده فأطنه إلا الجلدة فإذا يده معلقة، فنادي الغلام يا امته، فأخذه الحسين فضممه إلى صدره وقال: يا بن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بأبائك الصالحين برسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء. وامنعهم برؤس الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصرورنا فعدوا علينا فقتلونا^(٢).

وقال الشيخ المفيد: لما ضرب مالك بن النسر الكندي بسيفه الحسين على رأسه بعد أن شتمه القى الحسين عليه السلام قلنسوته ودعا بخرفة وقلنسوة، فشد رأسه

(١) هو عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه بنت الشليل بن عبد الله البجلي والشليل أخو جرير بن عبد الله كانت لهما صحبة.

(٢) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٠.

بالخرقة ولبس القلسنة واعتم عليها: رجع عنه شمر ومن معه إلى مواضعهم فمكث هنيئة ثم عاد وعادوا إليه واحاطوا به، فخرج عبد الله بن الحسن من عند النساء وهو غلام لم يراهاق، فشد حتى وقف إلى جنب عمه الحسين ﷺ فلحقته زينب لتحبسه فأبى، فقال لها الحسين:

احبسيه يا أختي، فامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمِّي.

واهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمِّي؟ فضربه بحر بالسيف، فاتقاء الغلام بيده، فاطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة. فنادى الغلام: يا أماه، فأخذَه الحسين ﷺ وضمَّه إليه وقال: يا بن أخي: اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

ثم رفع الحسين ﷺ يديه إلى السماء وقال: اللهم امسك عليهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم بددًا واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصروننا ثم عدوا علينا فقتلونا.

وروى أبو الفرج: أن الذي قتله حرملاة بن كاهن الأسدی^(١).

بيان: القلسنة: بفتح القاف واللام وتسكين النون وضم السين قبل الوا ولباس في الرأس معروف (لم يراهاق) أي لم يقارب (بددا) تفريقا (قددا) أي طرائق متفرقة بحر: بالباء المفردة والحاء المهملة والراء مثلها ابن كعب بن عبيد الله منبني تميم ابن ثعلبة بن عكابة. ويمضي في بعض الكتب ويجرى على بعض الألسن أبحر بن كعب وهو غلط وتصحيف.



(١) إبصار العين في أنصار الحسين (ص ٣٨ ط النجف).

فهرس المحتويات

زنب عند وفاة أبيها أمير المؤمنين	٥
زنب عند وفاة أمها فاطمة الزهراء	١٩
محطات ومواقف بين زينب والحسين <small>عليهما السلام</small>	٢٦
موقف زينب في كربلاء	٢٩
فرع الهاشميات	٣١
سبب اصطحاب زينب والعیال الى کربلاء	٣٢
دراسة الإمام لأبعاد الثورة	٣٣
١ - التضحية بأهل بيته	٣٣
٢ - حمل عقائل النبوة	٣٤
أقوال في سبب اصطحاب النساء	٣٥
١ - الإمام كاشف الغطاء	٣٥
٢ - أحمد فهمي	٣٥
٣ - أحمد محمود صبحي	٣٦
لماذا تخلف محمد بن الحنفية	٣٩
وصية الحسين <small>عليه السلام</small>	٤٠
سبب تخلف محمد ابن الحنفية عن الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>	٤١

٤٢ بين العقيلة زينب والامام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
٤٧ بين زينب وزين العابدين <small>عليه السلام</small> في كربلاء
٤٩ زينب عند جزع الإمام زين العابدين
٥٠ زينب تمرض زين العابدين
٥٢ بين زينب وعمر بن سعد
٥٣ موقف لزينب عند يزيد
٥٧ زينب تمنع طلب الشامي
٥٩ كثرة مصائب النساء والأطفال خلدت واقعة عاشوراء
٦٢ زينب تحفظ دماء شهداء الحسين <small>عليه السلام</small>
٦٣ زينب تنشر أثر شهادة الحسين <small>عليه السلام</small>
٦٥ عبر من مواقف زينب
٦٨ نظرة إلى دقائق التاريخ
٦٩ زينب <small>عليه السلام</small> والارتداد
٧٠ دور العاطفة في كربلاء
٧٢ العواطف في ثورة عاشوراء
٧٤ دروس من مواقف زينب في كربلاء
٧٨ دروس وعبر للمرأة المسلمة من زينب <small>عليه السلام</small>
٧٨ دور المرأة الإجتماعي
٨٠ دور المرأة في تربية الأولاد
٨٢ دور المرأة في عبادة الله تعالى

دور المرأة في الحياة الزوجية ٨٥	
المرأة وطاعة الزوج ٨٨	
خروج الزوجة من منزلها ٩٤	
سيادة الزوجة في البيت ٩٧	
تصرف المرأة بأموال زوجها ١٠٠	
زينب تعلمنا كيفية المواجهة ١٠٢	
زينب والسجاد قدوة الأحرار ١٠٤	
(كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) ١٠٤	
موقف زينب بنت عليؑ من ابن زياد ١٠٨	
موقف آخر بين زينب وابن زياد ١١١	
أثر مواقف زينب ١١٣	
شجاعة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم ١١٦	
زينب عند حرق الخيام ١١٧	
بين زينب وعمر بن سعد ١١٩	
الخطاب التاريخي لزينبؑ في الكوفة ١٢٢	
صدى الخطاب ١٢٥	
موقف تاريخي لحفيدة رسول الله في مجلس يزيد ١٢٦	
محتويات الخطاب ١٣٢	
جواب يزيد ١٣٤	
صدى خطاب زينبؑ ١٣٥	



١٣٦.....	موقف مشرف لزينب عند يزيد
١٣٨.....	خطبة زينب برواية البحار
١٤١.....	خطبة زينب بسند ولفظ ابن أبي الحديد
١٤٥.....	كرم زينب وفضحها للجميل
١٤٧.....	موقف زينب عند مقتل عبد الله بن الحسن
١٤٩.....	فهرس المحتويات





شَهَادَاتُ الْمَحَاجَلِ لِلصَّدِيقَةِ زَينَبَ بْنَتِ عَلِيٍّ

مَا أَعْسَنَتْهُ زَينَبَ بْنَتِ عَلِيٍّ

الصَّدِيقَةِ زَينَبَ بْنَتِ عَلِيٍّ وَفَضْلِهَا

كَوْنُ فَاطِمةَ وَزَينَبَ مِنْ ذُرَيْتَ الْتَّبَّيِّ

زَينَبُ بْنَجُونُ فِي كَرْبَلَاءِ

رَحْلَةُ زَينَبِ بْنَتِ عَلِيٍّ مَعَ السَّبَّا

مَوَاقِفُ وَعَطَاتُ زَينَبِ بْنَتِ عَلِيٍّ

الصَّدِيقَةِ زَينَبَ بْنَتِ عَلِيٍّ

